

الحياة الدينية من نهري إلى بارزان

بقلم
د. عرفات كرم ستوني

2010

2.....	الإهداء
3.....	تقديم
5.....	المقدمة
7.....	قرية نهري
12.....	قرية ستوني
16.....	الطريقة القادرية
17.....	من القادرية إلى النقشبندية
21.....	قرية بارزان
22.....	علماء الإسلام في بارزان
24.....	بين تاج الدين وعبد الرحمن

37	يهود بارزان.....
39	حاخامات كردستان.....
40	حاخامات وأحبار بارزان.....
41	قصة شجرة الرمان الشافية.....
46	المسيحية في بارزان.....
46	رهبان وقسس بارزان.....
47	نهاية المشيخة البارزانية.....
51	ملا مصطفى البارزاني.....
56	الحرية الدينية عند البارزاني.....
64	الخاتمة.....
66	قصيدة الشيخ عبد السلام البارزاني الدينية.....
100	المصادر والمراجع.....

إلى التي وقفت معي في السراء
والضراء، زوجتي أم شوينكار.

وإلى أولادي (شوينكار، شيطان،
ماريا).

تقديم الدكتور محمد شريف أحمد

رئيس منتدى الفكر الإسلامي

لما كان الدين بمفهومه العام واللزومي هو فعل العقل والقلب، وهما الحافزان الأساسان لحركة الإنسان فرداً أو جماعة، يصح القول بأن الحياة الدينية لكل أمة أو شعب أو منطقة انعكاس للوجه الحضاري له، فالدين محرك فاعل لتشكيل علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبالآخرين من غيره.

وإذا كان الدين في بعده الإلهي توحيدياً لذات الخالق الباري تعالى، وإنسانياً في العلاقة مع الآخر كما هي الحال في الإسلام، فقد يتجلى مظهره في صور الحرية والسلم الاجتماعي ورفض المذلة والمهانة.

فمن لوازم التوحيد الإلهي أن يستغني الفرد المؤمن عما سواه، ويكون الناس أمامه سواء، فيتوسع فضاء حريته ليخترق حدود الجبابة الموهومين دون الانتقاص من حريات الآخرين، ومن لوازم بعده الإنساني مجتمع عادل، ليس للقوى فيه تهميش الضعيف أو اذلاله، فالكل عباد الله في محاربيهم، وهو الذي يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه من الدين في يوم القيامة، فهو مالك يوم الدين وحده، والكل أحرار وسواء في منازلهم وأسواقهم وعلاقاتهم في إطار القيم المتعارف عليها ديناً أو شرعاً أو قانوناً.

وإن مشهد (الحياة الدينية من نهري الى بارزان) كما عرضه الباحث الألمعي الدكتور عرفات ستوني البارزاني في بحثه البديع الموسوم بهذا العنوان كشف هذه الحقيقة، وفسر السر في ريادة بارزان التاريخية للنضال المتواصل من أجل حرية الشعب الكوردي، واستعادة المكانة اللائقة به بين الأمم رغم بطش السلاطين والحكام الجائرين.

لم يكن الشيخ عبد السلام البارزاني التي احتفى به الباحث الكريم مجرد شيخ طريقة، بل كان شيخ منهج نهضوي لشعبه الكوردي، رشحه لهذا الدور التاريخي إسلامه الخالص، ومعرفته العميقة بعلمه، ووجدانه الفياض بحب الله وخلقته، وآداب التصوف التي عودته على التأمل والتفكير والبحث عن الحقيقة، كل ذلك جعله يضحى بنفسه من أجل قضية شعبه.

وقد أرسى هذا المنهج النهضوى لمشايخ بارزان فلسفة التعايش بين الأديان،
والتوزيع العادل للثروة، وفكرة الكرامة الانسانية، والقومية الكوردية فى بارزان
لتكون بارزان نواة صلبة قوية للحركة التحررية الكوردية، وليبقى هذا المشعل ينير
الدرب لطالبي الحق والحرية.

وقد تجسد كل هذا فى القائد الأسطورى الخالد الملا مصطفى البارزانى الذى
قاد نضال شعبه أكثر من نصف قرن دون أن يحدد قيد شعرة عن هموم شعبه
الكوردى المظلوم.

أما اذا أردت معرفة التفاصيل بأسلوب موضوعى مشوق فعليك قراءة هذا
البحث القيم فإنه جدير بالقراءة المتأملة وممتع.
وفق الله الباحث لإضافات معرفية قيمة أخرى كما عودنا على ذلك .

الدكتور محمد شريف أحمد
رئيس منتدى الفكر الإسلامى فى اقليم

كوردستان

2010 - 8 - 11

المقدمة

قبل بضعة أشهر دعيت للمشاركة في مؤتمر بارزان، وطلب مني كتابة بحث عن فلسفة التعايش الديني في بارزان، والسقف الزمني الذي حدد لي لم يكن كافياً، فقد كان أقل من شهر، فرفضت المشاركة، لأن دأب المؤتمرات إعطاء مهلة كافية للباحثين تكون أكثر من أربعة أشهر، ثم إن كتابة بحوث في أي مجال في مدة كهذه - أقل من شهر - لن تكون علمية ولا أكاديمية، وخاصة في المجال الذي اختير لي، حيث ندرة المصادر والمراجع في هذا الموضوع، وكذلك صعوبته لأن باحثاً لم يتطرق إليه بدراسة علمية، بل هي شذرات ومقتطفات نجدها من هنا وهناك، لذلك رفضت المشاركة في البداية، لكن الاخوة أعضاء المؤتمر أصروا وألحوا علي، لسببين: أحدهما أن هذا المجال من صميم تخصصي، وثانيهما، أنني من أبناء المنطقة، فمثلي أولى بغيري في الكتابة عن هذا الموضوع المهم الجلل، فلبيت طلبهم، واستطعت كتابة بحث متواضع، وشاركت به في المؤتمر، وقد كان بحق مؤتمراً ناجحاً، وخاصة أنه كان لأول مرة يقام مؤتمر كهذا في المنطقة.

ومن خلال مطالعتي ودراستي لهذا الموضوع ألفت أن الحياة الدينية في بارزان بصورة عامة بحاجة ماسة إلى دراسة وبحث، وخاصة كما قلت أن أحدا لم يتناولها من الناحية الأكاديمية، فأكثر الدراسات والبحوث تناولت الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والبيئي فقط، أما الحياة الدينية فنجد حديثاً وجيزاً من هنا وهناك، فهذا الجانب الحيوي كان مهملاً، بل لاحظت أن بعض الباحثين حاول عن قصد وأد هذا الجانب، وإبراز الجوانب الأخرى، حتى لا يكون هناك أي حديث عن الدين وما له صلة به، ولا ريب أن إبراز هذا الجانب المهم في دراسة علمية سيعطي صورة واضحة وجليّة للحياة الدينية في بارزان.

ثم إن الحديث عن الحياة الدينية في بارزان له صلة وعلاقة مباشرة بالحياة الدينية في شمدينان، وخاصة في نهري، مركز السادات النهرية، لذا لا يمكن الحديث عن بارزان بغض الطرف عن نهري، فلقد كان لشيوخ نهري إسهامات عظيمة في تاريخ الكرد وكرديستان، وخاصة في الجانب الديني الذي نحن بصدده، وسنكتشف من خلال دراسة هذا الجانب في تينك القرينتين التحول التاريخي للسادات النهرية من الطريقة القادرية إلى الطريقة النقشبندية، وتأثير ذلك كله على مسار الطريقة في كردستان وخاصة في نهري وبارزان.

وسنحاول في دراستنا هذه الحديث عن الحالة الدينية بصورة وجيزة جداً لدى اليهود والمسيحيين في منطقة بهدينان، وخاصة في بارزان، وكذلك الصراع العنيف والطويل بين المشيخة البارزانية وأغوات الزيباريين، وانتصار المشيخة في نهاية المطاف.

لقد احتل الحديث عن ملا مصطفى البارزاني مجالاً واسعاً في البحث، وذلك لإسهاماته الواسعة في هذا المجال، وخاصة مواقفه المعروفة وقراراته العملية، وكذلك موقفه من التعددية الدينية، والتعايش الديني السلمي بين أتباع الديانات الثلاث، وبين المذاهب الإسلامية، والقوميات المتعددة في كردستان، نلاحظ ذلك من أقواله ومواقفه وقراراته.

من بين مشيخة بارزان لم يترك واحد منهم آثارا علمية عدا الشيخ عبد السلام الأول، فقد ترك لنا قصيدة دينية رائعة تتكون من خمسة وتسعين بيتا، تناولت مختلف المسائل العقديّة، وقد قمت بترجمة القصيدة وشرحها والتعليق عليها، في نهاية الكتاب.

ولا أدعي أنني أعطيت الموضوع حقه، وتناولته بصورة شاملة كاملة، بحيث لم أترك مجالا لغيري للبحث فيه، ودراسته، فالمجال واسع فسيح، وأرجو أن تكون محاولتي هذه بداية حسنة لدراسات أخرى واسعة في مجالات أخرى ذات الصلة، ولقد حاولت بقدر استطاعتي التركيز على الجانب الديني، وذلك حتى لا يلج البحث في السياق التاريخي السياسي المحض.

والله نسأل التوفيق والسداد.

عرفات كرم ستوني

2010/7/17

قرية نهري

كانت قرية نهري تعد المركز الرئيس للسادات النهريّة، وكانت بحق القرية الأكثر أهمية في قلب شمدينان، وشمدينان نسبة إلى الأمير شمس الدين (شمو)، يقول شرف خان البدليسي: " كان هناك ثلاثة إخوة يدعون (شمس الدين، بهاء الدين، ومنتشا) فحكام هكاري هم من نسل شمس الدين، يقال لهم (شمو) في الاصطلاح الكردي، وحكام العمادية الذين هم من نسل (بهاء الدين) ويطلق عليهم (بهدين)، نزحوا من شمدينان من قلعة (تاروت) وأما حكام (كليس) الذين هم من نسل (منتشا) فيطلق عليهم مندو)¹.

¹ شرفخان البدليسي: شرفخانه في تاريخ الدول والإمارات الكردية ترجمه إلى العربية: محمد علي عوني(دمشق، دار الزمان، ط2، 2006م) 224/1، وقارن مع موضع آخر من الكتاب نفسه 167/1. راجع النسخة الكردية: شفرة فنامتيا شفرة فخاناي بدليسي: تترجمة مة لامة حمود بازيدي(دهوك، ضااخانا خانى، ض1، 2007) ت287.

وتعرف شمدينان ب (ناظضيا) بين الجبال، وهي تابعة لولاية هكاري، وهي منطقة تتكون من مئات القرى، ومن قبائلها الكبيرة الهركية والطرديّة، وتعرف كل قبيلة بسُلطان شيخها، وتخضع كلها لسُلطان أسرة شيوخ نهري(سادات نهري)². أما بخصوص اسم (نهري)، فهناك رأي يربطه بالاسم نيري، ويقول مينورسكي *Minorsky*: إن النصاري ربما كانوا قد جاءوا بهذا الاسم في تاريخ متأخر، وقد أسهب ديلاتر *Delater* في بيان الخلاف حول موقع نهري، وهو موضوع له أهميته البالغة في دراسة الجغرافية الآشورية، وليس من رأيه إطلاق اسم بحر نيري الأعلى على بحيرة وان، وبحر نير الأسفل على بحيرة أورمية... والذي يجب أن نلاحظه فوق هذا كله هو أن سمسرمان *Samsiraman* يحدد موقع إقليم نيري إلى الشرق من نهر الزاب الأكبر على تخوم بلاد الجبال، على أن تورو ودانطن *Thureau and Dangin* يقولان: إن القرائن كلها تدل على أن (نائري) أو هبوشكيه هي واد بهتان، وهي ذلك الجزء من إقليم نيري القديم الذي ظل مستقلا عن ملوك أراتو ³ *Urartu*.

وحول أصل النهريين، فإن ثمة اختلافا واضحا بين الباحثين، وإن كانت العائلة تزعم أن أصولها ترتد إلى الشيخ أبي بكر المدفون في قرية ستوني الهركية، وهو حفيد الشيخ عبد القادر الجيلاني. ويبدو أن منطقة شمدينان تتقاسمها العشيرتان الرئيستان الهركية والطرديّة، أما فيما يخص عشيرة بطزادة فإن هذه القبيلة المتوسطة الصغر، شديدة القرابة مع الهركية، وتحتل جزءا من وديان (ترطهور، مرطهور العالية والخصيبة، وقد كان (زيرو بك) الهركي زعيما لبطزادة حسب ما ذكره وليام إيغلتون⁴.

ولو ثبت أن السادات النهريّة من أسرة (سيدان) فهذا لا يدع مجالا للشك أن النهريين ينتمون إلى العشيرة الهركية، ولأن العائلة نفسها تدعي أنهم جاءوا من قرية ستوني الهركية، فلو كان ذلك كذلك، أي كون العائلة من بطن سيدان، فثمة اتفاق

² دائرة المعارف الإسلامية ترجمة لفيف من العماء (بيروت، دار المعرفة، د.طبت) 260/13-261.

³ المرجع السابق 361-360/13. قارن مع النسخة الإنجليزية:

Bosworth C. E, van Donzel, Lewis, B, & Pellat, CH, (Eds). *The Encyclopaedia of Islam*, (Leiden: E. J. Brill)check the word: Shamdinan.

⁴ ويليام إيغلتون: القبائل الكردية، ترجمة الدكتور أحمد محمود خليل (أربيل، مطبعة التربية، ط1، 2006م) ص85. دائرة المعارف الإسلامية 260/13-261. كان دأب جل أمراء الكرد الانتساب إلى أصول عربية، تكريما وتشريفا لسلاطنتهم وأصولهم، حيث كانت هذه العادة شائعة، فيقولون مثلا فلان من أصول عباسية أو أموية أو ما شابه ذلك، وهذه العادة السيئة أثارت غضب ملا سعيد، حيث نقل عنه باسيل نيكيتين قوله: "بمجرد أن يشقوا طريقهم، ويسمكوا بعنلة القيادة، يسرعون إلى اختلاق الأنساب لأنفسهم ليثبتوا أنهم ليسوا كردا بل عرب، وكان - أي ملا سعيد- يعبر عن أحاسيسه بهذا الخصوص بصورة تعريضية واستهزائية، ويقول: كل من يصبح بيكا، يعلن وينشر بين الملأ أن عباسي أو علوي أو خالدي، أو ينتسب إلى فلان أو من أحفاد علان، ويختلق ألف تحفظ بشأن نسبه الكردي". انظر: باسيل نيكيتين: الكرد ص252-253.

مجمع عليه أن سيدان بطن من بطون العشيرة الهركية، وهذا ما أكده وذكره كل من عباس العزاوي⁵، وباسيل نيكيتين⁶، ووليام إيغلتن⁷، وهنري فيلد⁸، ودائرة المعارف الإسلامية⁹، وهذا الرأي أكده وأيده بعض الباحثين الآخرين¹⁰. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لم ينتسبوا إلى العشيرة الهركية، واشتهروا بقرية صغيرة، والجواب أنه إذا كان مشايخ طريقة ما أو كبار قبيلة ما أو رؤساء عشيرة يسكنون في قرية معينة، تغطي القرية لأهميتها بأهلها على العشيرة أو القبيلة، ولعل خير مثال على ذلك قرية بارزان، فهي قرية زيبارية، لكن وجود واستقرار المشيخة في قرية بارزان، جعل القرية طاغية على العشيرة، ولا ريب أن ثمة أسباباً أخرى فيما يخص قرية بارزان، سنتطرق إليها لاحقاً.

وعليه، فلو ثبت أن السادات النهرية من أبناء العشيرة الهركية، فالأولى كتابة سطور عن هذه العشيرة.

تعد هذه العشيرة من أضخم العشائر الكردية، وهي مشتتة بين تركيا وإيران والعراق، تعيش الأغلبية في تركيا وإيران، أما الأقلية فاستقرت في العراق، وهي أي العشيرة قسمان، الأول يسمون (هركي كوجر) الهركيون الرحل، وهم متفرقون في العراق، بينما القسم الثاني، (هركي بنهجي) فهم الهركيون الأصليون يتوزعون على قراهم السبع المعروفة في العراق (شيوه هركي، كي، بيداو، أردويل، ناظضة، دري، ستوني)، وقد كانوا تابعين للطريقة القادرية، وبعد أن حلت النقشبندية محل القادرية، احتفظوا بطريقتهم بصورة رمزية فقط، ولهذا نجد من بين الطاعنين في السن، من لا يحلف في أوقات الشدة والجد إلا بالغوث، أي الشيخ عبد القادر الجيلاني، ومن ناحية الولاء كانت قرية نهري قبلتها الثقافية والعلمية، وبعد تضعف سلطان السادات النهرية في المنطقة، وخاصة في عهد الشيخ محمد صديق ومن تلاه من السادة من أبناء العائلة، وبرز المشيخة البارزانية، أصبحت العشيرة في وضع شبه مستقل، وبمرور الزمن، قوي سلطان المشيخة البارزانية وتضعف سلطان النهريين، وخاصة عندما قويت المنافسة بين الشيخ عبد السلام الثاني والشيخ محمد صديق، مع كون السادات النهرية هم الأصل والمشيخة البارزانية هي الفرع فيما يخص قيادة وزعامة الطريقة النقشبندية الصوفية في المنطقة، والذي يبدو لي أن العشيرة الهركية أصبحت تابعة لبارزان لظروف واقعية، وتحديدًا في فترة الشيخ أحمد البارزاني، وخاصة بعد ترسخ مفهوم (الملة) التي كلما أطلقت أريد بها كل من ينتمي إلى بارزان، ومصطلح (الملة) مصطلح ديني يراد به كل من يعتقد بما يعتقد.

⁵ العزاوي: قبائل العراق (بغداد، مطبعة المعارف، د.ط. 1995م) ص331.

⁶ باسيل نيكيتين: الكرد دراسة سوسولوجية وتاريخية، ترجمة: نوري طاباني (السليمانية، مؤسسة حمدي، ط2007، 3م) ص212.

⁷ وليام إيغلتن: القبائل الكردية ص85.

⁸ هنري فيلد: جنوب كردستان دراسة انثروبولوجية، ترجمة جرجيس فتح الله (أربيل، مطبعة التربية، ط1، 2001م) ص33.

⁹ دائرة المعارف الإسلامية 369/13.

¹⁰ حاجي رمضان بيسكي: بحث عن عائلة شمديان ودورها في الحركة التحررية الكردية (السليمانية، مطبعة رومان، ط1، 2007م) ص50.

شيوخ بارزان من الناحية الأيدولوجية، ولهذا توسع مصطلح البارزاني بهذا الأطار ليشمل العشائر السبع المعروفة (دولمري، شيرواني، مزوري، نزاري، بروزي، طقردي، هركي بنهجي). والدليل الرمزي الظاهري على صحة الانتماء إلى بارزان لبس العمامة الحمراء، ولهذا لم يلبس أي هركي في حياته هذه العمامة، لأنه كان ينتمي إلى السادات النهريّة طريقة وعقيدة وولاء وإدارة، وعندما حصل هذا التحول الجذري، وظهرت المشيخة البارزانية كقوة سياسية ودينية قوية، سلكت العشيرة الهركية مسلك أخواتها من العشائر الأخرى وخاصة العشيرة الطردية، ولكن بصورة تدريجية بطيئة، لأنها أي العشيرة الطردية حسب التسلسل الزمني كانت قبل الهركية انتماء إلى بارزان.

ويذهب كثير من الباحثين أن هذه العشيرة كانت مسيحية نسطورية، يقول القس ويطرام: " وكدليل على قدم نصرانية الهركية ما قيل عن حملهم حتى يومنا هذا رأس القديس جرجيوس أحد شهداء النصرانية الأسطوريين في الشرق على صدورهم، واعتباره حرز عشيرتهم الأقدس، ويكون إما عند زعيمهم الأكبر، أو عند ملا عظيم الكرامة في العشيرة، ثم يقول... ونحن هنا ننقل الأقوال التي سمعناها من كهنة النساطرة الطاعنين في السن لا غير"¹¹.

ولقد تحدثت باسيل نيكيتين¹² عن أسرة الأمير شمس الدين الذي تنسب إليه شمدينان، حيث قال: " كانت أسرته تمارس رعي المواشي بين بغداد والموصل، وحدث أن نشب نزاع بينها وبين عشيرة (شمر) العربية القوية، فانهمزمت أمامها واضطرت للجوء إلى الجبال الكردية في شمال العراق، واستقر في بادئ الأمر في قرية (ستوني) من قرى عشيرة الهركي أي القسم الشرقي من شمدينان، حيث يمر خط المواصلات من الموصل عبر أميدي (العمادية)، وقد استطاع شمس الدين بفضل ذكائه وسمعته الطيبة أن يكسب ود واحترام عشيرة الهركي وجوارها، ثم جاء ابنه ووريثه (عزالدين) الذي استطاع بسط نفوذه على مناطق واسعة (مرطقور، ترطقور، طقردي، برادوست، دوسكان، أورامار، ريكان)، واستمرت هذه الأسرة خلال ستة أو سبعة أجيال تعيش في قرية (ستوني)، ولكن خلال فترة زعامة (ناصر الدين) نقل مقر إقامة الأسرة إلى قرية (بيتكار) التي تعد من قرى عشيرة هركي أيضا، ويحمل أحد جوامع (نهري) - التي تعتبر حاليا مركزا لشمدينان- اسم هذا

¹¹ دبليو. أي. ويطرام وادطار تي. أي. ويطرام : مهد البشرية، الحياة في شرق كردستان، ترجمة جرجيس فتح الله (أربيل، دار آراس، ط3، 2000م) ص135. وانظر:

Michael M.Gunter; *Historical Dictionary of Kurds* (The Scarecrow Press, Inc.Lanham, Maryland, and Oxford, 2004) Pp63.

¹² باسيل نيكيتين قنصل روسيا السابق في إيران، عضو الجمعية الآسيوية، وجمعية علم الإنسان في باريس، والعضو الدائم في المؤسسة العالمية لعلم السلالات البشرية، والعضو المراسل لأكاديمية الدبلوماسية العالمية، ألف هذا الكتاب عن الكرد *Le Kurdes* باللغة الفرنسية عام 1943، اعتمد باسيل نيكيتين في معلوماته حول كردستان الوسطى وخاصة النهريين على أستاذه الخاص ملا سعيد القاضي، الذي كان معلما دينيا في نهري في عهد الشيخ محمد صديق، فر هاربا من تركيا، ولجأ إلى أورمية، والتقى به باسيل، فتعلم اللغة الكردية منه، وكان معجبا به، يذكره في كتبه ويثني عليه خيرا، توفي باسيل نيكيتين عام 1960.

الأمير، وبعد مرور ثلاثة أو أربعة أجيال، عندما كان الأمير زين الدين زعيما للأسرة، انتقل مركز الأسرة إلى قرية (هارونان) التي تقع في منطقة (هومارو) جنوبي شمدينان، وقد بنى هذا الأمير قلعة صغيرة منيعة ما تزال آثارها باقية إلى الآن، وكان لهذا الأمير ولدان: أحدهما الأمير (عماد الدين) الذي اختلف مع والده، فنزح إلى (أورمية) حيث منحته حكومة الأفشاريين - ورثة نادر شاه أفشار - مقاطعتي (برده سور) و(ترطقور)، وما تزال آثار الحصن الذي بناه في المقاطعة الأولى باقية إلى الآن، أما الابن الثاني فكان الأمير (سيف الدين)، وقد خلف والده، وكان أول أمير في الأسرة يحمل اسم أمير شمدينان رسمياً، وبعد لقاء الأسرة جيلين أو ثلاثة أجيال في قرية (هارونان) تولى الزعامة (بهرام بك) فانتقل بها إلى (نهري) التي صارت منذ ذلك الوقت مركزاً لها، وقد بنت هذه الأسرة على أنقاض كنيسة قديمة على التل الوسطى لنهري حصناً منيعاً أطلق عليه اسم (فلا)، ولبت أمراء شمدينان يحكمون المنطقة حتى جاء الشيخ عبد الله في أواسط القرن التاسع عشر، فانتقل الحكم إلى أسرته أسرة الشيوخ المعروفين باسم (سادات نهري) أي أسيد نهري¹³.

ثم تطرق باسيل نيكيتين إلى أصل العشيرة الهركية قائلاً: " كان جد العوائل الحاكمة لهذه العشيرة شخصاً يدعى (أبا بكر) اشتهر ببسالته، حتى إنه لم يكن ليخشى منزلة عشرين مقاتلاً في آن واحد، وكان بين هذا الفارس والأمير زين الدين أمير (شمدينان) عداوة، فكان يسطو على رجال الأمير وأتباعه، وقد بلغت جرأته ذات مرة حداً كبيراً عندما قتل وشتت وحده عشرين شخصاً من أتباع الأمير الذين نصبوا كميناً له للإيقاع به، فأخذ أسلحتهم وأمتعتهم وحملها على بغلين يكونان كل ثروته، ومضى مباشرة نحو خيمة الأمير (زين الدين)، فلجأ الأمير إلى الحيلة، وخبأ عن أبي بكر حقيقة نواياه، ورحب به قائلاً: إن رجالي أضعف من النساء، وأنت رجل شجاع وفقير، وأود أن يكون معي رجل مثلك رئيساً للخدم، وبات أبو بكر تلك الليلة لدى الأمير على أن يذهب في اليوم التالي ليحضر عائلته ويياشر وظيفته الجديدة، وهكذا أزال الأمير حذره وعدم ثقته به، وسهل لرجالاه عندما أغمض أبو بكر عينيه مطمئناً، أن يتقدموا منه ويقيدوه، وفي اليوم الثاني جاءوا به وفكوا وثاقه ليعدموه، فتمكن بسرعة من اختطاف خنجر أحد رجال الأمير وطعنه به طعنة كانت من القوة بحيث نفذ النصل من بطنه وظهره إلى شجرة، وحاول أبو بكر أن يستل الخنجر، إلا أن مقبضه وحده طاوعه، فبات أعزل واضطر للإستسلام، وقد طلب قبل إعدامه أن يدلي بوصيته الأخيرة لأولاده، وسمحوا له بذلك، فقال: أولاً، لا تتركبوا نصلاً في مقبض خنجر دون أن تسمروه تماماً، ثانياً، ليتزوج كل واحد منكم أربع نساء لتكثروا ذرائكم¹⁴ وتتمكنوا من الأخذ بثأري، ثالثاً، لا تصغوا أبداً إلى الأقوال المعسولة التي

¹³ باسيل نيكيتين : الكرد ص220-221، وانظر: دائرة المعارف الإسلامية 13/ 366 وما بعدها.

¹⁴ هذه العادة جد متفشية في العشيرة، فأكثر رجالها لديهم على الأقل زوجتان، وفي بعض بطونها يعد من له زوجة واحدة في رأي بعض كبارها ضعيفاً، وهذا بلا ريب من أسباب تكاثر العشيرة.

تصدر من بطزاده شمدينان، أي العائلة الحاكمة هناك، وكان لأبي بكر أربعة أولاد هم (مندو) و (سيدو) و (سرهات) و (مام شير)¹⁵.

قرية ستوني

تعد هذه القرية التاريخية من أهم القرى العشيرة الهركية، ويبدو من آثارها القديمة الثاوية قرية مسيحية، حيث فيها آثار الكنائس القديمة، وتتجلى أهميتها أيضا من خلال لجوء بعض الأمراء والشيوخ والأغوات إليها عند الأزمات والشدائد، ولقد ذكرنا سبب لجوء الأمير شمس الدين إليها، بعد نزاعه مع قبيلة الشمر العربية، وقد حكمت الأسرة في هذه القرية ستة أو سبعة قرون، وتشير مصادر عديدة أن السادات النهريه يرتد أصلهم إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، وبعد وفاته جاء نجله إلى (عقرة) ليبشر بطريقة والده، فمات هناك، ودفن، ولا يزال قبره مزارا للناس¹⁶، ثم قصد ابنه الشيخ أبو بكر قرية (ستوني) الهركية، وعاش فيها، وخلفه من بعده ملا حيدر، وثلاثة أو أربعة من أخلافه.

ولعل هذه الأدلة وغيرها دفعت المؤرخ الكردي الشهير محمد أمين زكي بك إلى اعتبار قرية (ستوني) إمارة مستقلة، وانتقد شرف خان البدليسي في كونه لم يتطرق إليها¹⁷، ولقد اعتمد المؤرخ على دائرة المعارف الإسلامية، حيث فيها التفصيل الكامل عن هذه القرية، إلا أنها لم تقل بأن قرية (ستوني) إمارة¹⁸. وسواء كانت (ستوني) إمارة أو قرية، فإنها بلا ريب كانت منطقة مهمة، حكمت لقرون طويلة مناطق واسعة في كردستان، هذا من الناحية السياسية والإدارية، ومن الناحية العلمية فإن حفيد الشيخ عبد القادر الجيلاني توجه إليها، من أجل نشر المعارف والعلوم وخاصة الطريقة القادرية، وبقي ملا حيدر يدرس العلوم والمعارف لفترة من الزمن، وهذا ربما يدفعنا إلى السؤال التالي، لماذا اختار الأمير شمس الدين، وحفيد الجيلاني هذه القرية دون غيرها من القرى الكثيرة في منطقة الهركيين؟ وهذا سؤال عويص، ولكننا ندرك من خلال السؤال المطروح أهمية القرية التاريخية.

¹⁵ باسيل نيكيتين: الكرد ص 211-212.

¹⁶ تشير بعض المصادر إلى أن الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر الجيلاني مات في سنجان قرية جبال، وليس في عقرة:

Martin Van Bruinssen: *The Sadate Nehri or Gilanizade of Central Kurdistan* Pp.2
<http://www.let.uu.nl/~martin.vanbruinssen/personal/publications>.

¹⁷ محممة نعيم زكي بقط: خولاصتيكي تاريخي كورد وكوردستان (هتولير، ضاخانتي وزارتني ثتروورد، 2006) ت 272. وقارن مع بحث عن عائلة شمدينان ص 71، حيث اعتمد الباحث كليا على رسالة محمد أمين زكي بك. وانظر رسالة ماجستير مخطوطة حول حركة الشيخ عبيد الله النهري:

Mhmet Firat Kilic; *Sheikh Ubeydullah's Movement* (2003).Pp36.

¹⁸ دائرة المعارف الإسلامية 366/13 وما بعدها.

ولا يزال ضربا كل من الشيخ أبي بكر وملا حيدر في قرية ستوني، وقد بلغ من تقديس أهالي القرية بل المنطقة لهما إلى درجة الغلو فيهما، كالاستغاثة وطلب الدعاء وقضاء الحوائج وغيرها من الأمور المعروفة بين الناس.

وبعد موت ملا حيدر، وفي أيام (ملا حاجي) انتقلت الأسرة من (ستوني) لتستقر في قرية (ميليان) الواقعة في منطقة (هومارو)، ثم انتقل أحفاد (ملا حاجي) إلى قرية (ديماني سونيا) حتى أيام ملا صالح¹⁹. وحسب مارتن فان برونسن فإن (ملا صالح) هو والد كل من الشيخين (عبدالله وأحمد)²⁰، إلا أن مارتن في موضع آخر أضاف (الشيخ إبراهيم) بين ملا حاجي وملا صالح، في كونه والد ملا صالح²¹، فالشيخ عبد الله كان الخليفة الشرعي للطريقة القادرية آنذاك، وقد تخلى عنها ليتحول إلى الطريقة النقشبندية، وهي قصة سنذكرها حين يحين حينها.

فالشيخ عبد الله لم يعقب، بينما أخوه أحمد خلف ولدين، أحدهما السيد طه الأول، والسيد صالح، وقد كان الأبن الأول الخليفة الشرعي، والممثل الرسمي للطريقة النقشبندية في المنطقة، وهو الذي عين الشيخ عبد الرحمن البارزاني أخي الشيخ عبد السلام الأول خليفة له في بارزان ليوقف ضد أطماع أغوات الزبيار، وستحدث عن ذلك في وقته، خلف السيد طه النهري ولده عبيد الله النهري (1878م- 1881م) صاحب أعظم ثورة كردية في التاريخ، قاد الشيخ عبيد الله النهري ثورة لتحرير الكرد واستقلال كردستان، وقد كان ذلك قبل ظهور ثورة (جون ترك) (تركيا الفتاة) (الفتيان الترك) اندلعت الثورة في الأراضي الإيرانية المجاورة لشمدينان، تحديدا في أورمية، وكانت ثورة مزدوجة تهدف الحكومتين الإيرانية والعثمانية، وقد فشلت الثورة، واقتيد الشيخ عبيد الله إلى القسطنطينية، ومن ثم نفي إلى مكة المكرمة، وقضى نحبه هناك عام (1883م).

. أما أخوه الآخر (علاء الدين) فلا يذكر له دور مهم في مسيرة التاريخ، ترك الشيخ عبيد الله ولدين، أحدهما مثقف وناشط يحمل هم أمته ووطنه، وهو الشيخ عبد القادر، أما الولد الآخر (الشيخ محمد صديق) فقد تسلم زعامة السادات النهرية سنة (1883م)، وقد اغرورق الرجل في ملذات الدنيا، حيث حاول السيطرة على كل شيء من أجل تحقيق أطماعه الشخصية، مرة في إيقاع الفتنة بين العشائر²²، ومرة

¹⁹ دائرة المعارف الإسلامية 366/13 وما بعدها، وباسيل نيكيتين: الكرد ص356.

²⁰ مارتن فان برونسن: الأغا والشيخ والدولة البنى الاجتماعية والسياسية لكردستان، ترجمة: أمجد حسين (بيروت، دراسات عراقية، ط1، 2008) 671/2.

²¹ Martin Van Bruinssen: *The Sadate Nehri* Pp.11

²² ذكر مارتن مثلا قيما حول أطماع الشيخ، وإيقاعه الفتنة بين زعماء القبائل من أجل حطام الدنيا والنفوذ والسلطة، والمثال عبارة عن حكاية ساتو وتاتو،: "لقد كان ساتو وتاتو آغوين لقبيلتي أورامار وريكاني على التوالي، وكانا منخرطين في نزاع عنيف، فلجأ الشيخ محمد صديق - الذي كانت رغبته على الدوام هي الحصول على طحين ناعم من بين صخرين جلمودين- إلى التدخل في النزاع، بأن عرض على تاتو - زعيم قبيلة ريكان- حميته لقاء ثمن، واستقرز ساتو، فاضطر الأخير إلى القبول بتسوية وفق شروط الشيخ، ففقد كلا الزعيمين الكثير من هذا النزاع، وكانت المكاسب كلها من نصيب الشيخ، إذ خشى ساتو وتاتو من أن تؤول جميع ممتلكاتهما إلى

في منافسة الشيخ عبد السلام الثاني، وقد بلغت المنافسة ذروتها سنة (1910م). يقول مارتن فان برونسن: " فمع بداية القرن العشرين كان (محمد صديق) يعيش في نهري، وكان يعد الشيخ الأوسع نفوذا في كردستان الوسطى، ولقد تسبب تنافسه على النفوذ مع شيخ بارزان عبد السلام الثاني في شيوع الاضطراب في منطقة (أورمار) الواقعة بين أراضي الشيخين، وكان يمارس حكما مباشرا على قبائل الهركي والطردي"²³.

أما ويطرام فقد تحدث عن الشيخ محمد صديق بصورة سيئة جدا، وبالغ الرجل في ذلك، واتهمه بتهم خطيرة وعديدة، منها ما له صلة بحديثنا، حيث يقول: " فقد كتب مرة لواحد من مؤلفي هذا الكتاب رسالة توصية إلى بنك إنكليزي قائلا: إن لديه مبالغ من المال يرغب في إيداعها، فزكينا له بنكا أو اثنين، ولما كنا نعلم أن سيادته يطلب من البنك فائدة تتراوح بين عشرة بالمائة وخمس عشرة، ويشترط سحب الودائع عند الطلب، فقد رجحنا أن القضية لن تؤدي إلى نتيجة ما، ولكن سرعان ما وجدت بضعة آلاف من البارونات سبيلها فعلا إلى شارع لومبارد بلندن *Lombard Street* ثم قال ويطرام: حقا إن أمير المهريين هذا كان في سعة من الرزق، زعيم عصابة تهريب كردي ذو رصيد ملي كبير في إنكلترا"²⁴. إلا أن أحد الباحثين دافع عن الشيخ محمد صديق، وانتقد ويطرام في وصفه الشيخ بتلك الصفات، وخاصة وصفه بأمير المهريين"²⁵.

وأغلب الظن أن الشيخ محمد صديق هو أحد الأسباب الرئيسة في تغيير مسار هذه العائلة نحو الشقاق وتقلص سلطتهم وانكماشها، لأنه ركز على الجانب المادي فقط، وأهمل قواعد الطريقة وآدابها وسلوكياتها، أما الحس الوطني والشعور القومي فقد كان بعيدا عن ذلك جدا، بل كان همه الوحيد السلطة، وتوسيعها على حساب الآخرين، وكان جمع الضرائب والأموال من أهم مبادئه الأساسية.

وبعد انتصار ثورة (تركيا الفتاة) سمح للشيخ عبد القادر النهري بالعودة من مكة المكرمة إلى أسطنبول بدل كردستان، وبعد وفاة أخيه الشيخ محمد صديق سنة (1911م) نشب صراع عائلي بين الشيخ عبد القادر، وابن أخيه (السيد طه الثاني) فقد عاد الشيخ عبد القادر من أسطنبول، وادعى المشيخة ورئاسة الأسرة، وهي من حقه بموجب التسلسل الوراثي، فنشب قتال بين العم وابن أخيه.... وقد توصلا إلى اتفاق، حيث رضي الشيخ عبد القادر بمعاش سنوي ضخم من أملاك الأسرة على أن يتخذ من أسطنبول المدينة المألوفة لديه مسكنا ثابتا، مفضلا إياها على منصب شيخ بدوي في كردستان²⁶، عاد الشيخ عبد القادر النهري إلى أسطنبول ليصبح عضوا في مجلس المبعوثان العثماني، وقد شارك في جمعيات عديدة، وكان

الشيخ في آخر المطاف، تصالحا لكي يتحررا من الشيخ محمد صديق، ووضعوا نفسيهما تحت حماية شيخ منافس هو عبد السلام من بارزان. مارتن: الأغا والشيخ والدولة 490-489/2.

²³ مارتن فان برونسن: الأغا والشيخ والدولة 685/2.

²⁴ ويطرام: مهد البشرية ص136.

²⁵ السندي، بدرخان: المجتمع الكردي في المنظور الاستشراقي (أربيل، مطبعة وزارة الثقافة،

ط1، 2002) ص287.

²⁶ ويطرام: مهد البشرية ص 139. وقارن مع مارتن فان برونسن 685 /2.

ناشطا كرديا مهما، في خريف عام(1909) أقدم الشيخ عبد القادر بجولة في أنحاء شمدينان، وعمل وهو رئيس مجلس الدولة على عقد مؤتمر كردي - أرمني، وألقى فيه خطبة، أكد فيها إخلاصه للاتحاديين، وتمسكه بمبادئهم، إلا أنه أقلق بالهم عندما تطرق فيها إلى العلاقة بين الأرمن وبين شعبه الكردي، إذ قال: "علينا أن نعيش مع الأرمن كاخوة، علينا أن نعيد لهم تلك الأراضي التي يدعون بها، والتي لم تتم استعادتها بعد، وسنعمل معا على تقوية التفاهم والاتحاد مع إخواننا العثمانيين الآخرين"²⁷ وذكر أنه عقد اجتماعات خاصة مع الزعماء المحليين، واعتقل حال عودته إلى أسطنبول، وبعد أن فشلت ثورة الشيخ سعيد بيران عام (1925م)، أصدرت المحكمة التركية حكما بالموت شنقا على اثنين وخمسين، من بينهم الشيخ عبد القادر النهري، العضو السابق في مجلس الأعيان العثماني، وأحد كبار رجال الدولة في الحكومة التركية²⁸. بقي الشيخ عبد الله الأفندي النهري في شمدينان بعد إعدام والده يضع الكمائن للجيش التركي حتى أرغم في آب على عبور الحدود إلى العراق مع مآتي عائلة، استقر في العراق، وأرسل ولده عبد العزيز إلى الكلية العسكرية في بغداد، في عام 1941 قصد الوالد إيران، واستقر في (مرطوة) جنوب غرب أورمية، أما ابنه عبد العزيز فقد أصبح ضابطا في الجيش العراقي، وكانت له اتصالات بدوائر الحركات الكردية القومية، وقد شارك هو ووالده في جمهورية مهاباد الكردية عام 1946، وقد كانت قبائل المنطقة تفضل الشيخ عبد الله الأفندي على القاضي محمد للقيادة، وبعد انهيار الجمهورية الكردية الفتية، أعدم القاضي محمد من قبل الإيرانيين، ولجأ ملا مصطفى إلى روسيا، كان عبد العزيز هاربا من الجيش العراقي، فذهب مع البارزاني إلى روسيا، بقي سنتين في سيبيريا، وسنحت له الفرصة للدراسة في (لينين طارد)، ومن ثم عاد مع البارزاني إلى العراق بعد ثورة عبد الكريم قاسم عام 1958، وقد أصبح عضوا ناشطا في المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني، لكن تصرفاته ونشاطاته غير المتزنة أزعجت البارزاني، فحبسه لفترة، ثم أطلق سراحه، تعيش بقايا هذه العائلة الآن في أورمية في قرية (مرطوة)²⁹.

الطريقة القادرية

هذه الطريقة نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني³⁰، وهي أول طريقة تنتشر في كردستان، تليها الطريقة النقشبندية، وبما أن السادات النهريّة قادريون طريقة،

²⁷ يبدو أن الشيخ عبد القادر النهري يطبق سياسة والده تجاه المسيحيين، فعندما قام الشيخ عبيد الله النهري بثورته العظيمة، طلب منه أنصاره أن يسمح لهم بتقتيل نصارى أورمية، فقال: "نحن الكرد ننفع الترك في شيء واحد، وهو أن نكون أسلحة في أيديهم ضد المسيحيين، وعندما لا يبقى مسيحي في الساحة، فإنهم يقبلون ظهر المجن لنا، ويبيدوننا جميعا". انظر: باسيل نيكيوتين: الكرد ص313.

²⁸ جرجيس فتح الله: يقظة الكرد (أربيل، ط1، مطبعة وزارة التربية، 2002م) ص305.

²⁹ Martin Van Bruinssen: *The Sadate Nehri* Pp.7-8.

³⁰ هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي الحنبلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان (وراء

لكونهم ينحدرون من سلالة الشيخ، لكنهم في فترة من الفترات تحولوا من القادرية إلى النقشبندية، ولولا هذا التحول الجذري لكانت المشيخة البارزانية اليوم قادرية قلبا وقالبا، ولربما أثر ذلك في المشايخ الآخرين أمثال شيخ بريفكان وبامرني ولولان وشمال كردستان عامة.

من القادرية إلى النقشبندية

كانت الطريقة القادرية هي السائدة في كردستان، وبظهور مولانا خالد من عشيرة الجاف في السليمانية برزت الطريقة النقشبندية³¹، كان مولانا خالد رجلا عاديا، بعد أن أنهى دراسته الدينية أصبح يدعى بملا خالد، وأخذ يدرس في مساجد السليمانية، وكان بين قبيلته والبرزنجيين صراع وعداوة، لذلك لم يدخل في الطريقة القادرية على يدهم، بل أثر الدخول في الطريقة على يد السادات النهريّة، فعندما استقر أمره ورأيه في السفر إلى الهند، التقى بالشيخ عبد الله النهري شيخ السادات النهريّة في قرية نهري، وضمه إلى الطريقة القادرية بعد أن أمضى وقتا هناك، ثم سأله الشيخ عبد الله النهري عن سبب سفره، قائلا له: إنها سفرة بدون فائدة، وإذا كان سفرك ضروريا فسأرافك فيه، فكان جواب خالد له الاستشهاد بهذا البيت لأحد شعراء الفرس:

اديب من جليس شود در حلقة رندان

به كوشش كر رسانم ناله مستانه خودرا

أي يغدو ناصحي جليسي في حلقة اللامبالين، لو همست في أذنه بهذياناتي المخمورة، وبعد أن استمع إلى البيت، وافق على السفر معه إلى الهند، وبقيها هناك سنة كاملة، ومن ثم تلقيا الإجازة بنقل الطريقة النقشبندية إلى العراق³².

طبرستان) (471هـ - 1078م)، وانتقل إلى بغداد شابا سنة 488 هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والافتاء في بغداد سنة 528 هـ وتوفي بها. له كتب، منها " الغنية لطالب طريق الحق " و " الفتح الرباني " و " فتوح الغيب " شرحه ابن تيمية الحراني " و " الفيوضات الربانية " وللمشرق مرجليوث الانجليزي رسالة في ترجمته نشرها ملحقه بالمجلة الاسياوية الانكليزية. ولموسى بن محمد اليونيني كتاب " مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني " ولعلي بن يوسف الشطنوفي " بهجة الاسرار " في مناقبه، ولمحمد بن يحيى التاذفي " قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر " وترجم عبد القادر بن محيي الدين الاربلي عن الفارسية " تفريح الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر " توفي رحمه الله ولد سنة 561 هـ 1166م) أنظر: خير الدين بن محمود الزركلي: الأعلام (بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م) 47/4.

³¹ الطريقة النقشبندية نسبة إلى مؤسسها الشيخ بهاء الدين محمد الأويسي البخاري شاه نقشبند، ولد عام (717هـ) في قصر العرفان، وهي قرية بالقرب من بخارى، من كتبه (تنبيه الغافلين) و(سلك الأنوار) و(هدية السالكين وتحفة الطالبين) توفي رحمه عام(791هـ). أنظر: د.محمد أحمد درنيقة(د.م.ت.ط.جروس بريس) الطريقة النقشبندية وأعلامها ص18 وما بعدها، وعبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية (د.م. دار الرشيد، ط1، 1412هـ، 1992م) ص393 وما بعدها.

³² باسيل نيكيئين: الكرد ص356، ومارتن: الأغا ص476-477، اعتمد مارتن على باسيل نيكيئين، لكنه زاد عليه أمورا لم يذكرها باسيل، خذ مثلا: (1) ذكر مارتن أن مولانا خالد دخل

ومما دفعه إلى السفر إلى الهند، أنه رأى في حلمه بعد ذلك الشيخ عبد الله الدهلوي، في شكل صوفي بسيط، فأمره هذا قائلاً: إذهب يا خالد إلى الحج، وسترى هناك في الكعبة درويشا مثلك يبحث عن القمل في ثيابه ليقتله، لا تغضب من ذلك، بل قبل طرف عبايته، وسيساعدك على تحقيق أمانيك، غير أن خالد لم يهتم بهذا الحلم، ومضت سنوات عديدة، نسي خلالها خالد حلمه تماماً، وعندما ذهب إلى الحج، وبلغ الكعبة، أبصر درويشا بالصورة التي رآها في حلمه، فدنا منه بغضب، وقال له: حسب أي قواعد دينية تعمل ذلك أيها الفاسق، فأجابه الدرويش بهدوء، يا خالد أنسيت رؤياك القديمة، إن لم تذهب إلى دلهي فستكون طريق الخلاص أمامك طويلاً، فذهل خالد من كلام الدرويش، ثم عاد إلى السليمانية، وهياً نفسه لسفر طويل، رغم نصائح رجال الدين له لردعه من السفر، ولكن دون جدوى، فقد صمم على السفر إلى دلهي³³.

وقد عاد كل من مولانا خالد والشيخ عبد الله النهري إلى كردستان، لنشر الطريقة النقشبندية، فاستقر مولانا خالد في السليمانية، بينما الشيخ عبد الله النهري رجع إلى قريته المعروفة (نهرية)، لكي ينشر الطريقة النقشبندية بدل القادرية التي كانوا على طريقتها، وتشير بعض المصادر كما يقول مارتن: أن السيد عبد الله وأخاه السيد أحمد أصبحا يمتلكان الطريقة النقشبندية في نهرية، وبعد وفاة السيد عبد الله أصبح ابن أخيه السيد طه النهري ابن السيد أحمد الخليفة النقشبندي في شمديان³⁴. كان السيد طه النهري واسع النفوذ في المنطقة، فقد خضعت لسلطته الدينية والزمنية الأصقاع النائية، فقد كان بحق حاكماً مطلقاً، وقد اشتهرت القرية به، فحيثما ذكر قرية (نهرية) أريد بها السيد طه، لشهرته وسلطته ونفوذه.

أما مولانا خالد فقد أصبح الممثل الرئيس للطريقة، وحينئذ كثر أعداءه وحساده ومنافسوه، وبعد أن ذاعت صيته، وانتشرت شهرته، وقف كل من الشيخ معروف النودهري البرزنجي ضده، وكذلك (ملا محمد بالك) واتهماه بمختلف التهم، ومما قاله بحق مولانا خالد: "إن الكرد أناس سذج ومؤمنون، لذلك سيقدمون العطايا الجزيلة إلى خانقات النقشبنديين، وسيثري هؤلاء من تلك العطايا، ويترتب على ذلك حدوث مشاكل كثيرة على النطاقين الروحي والزمني، وسيعيش أولاد أولئك المشايخ

الطريقة القادرية على يد الشيخ عبد الله (2) أن مولانا خالد والشيخ عبد الله سافرا معا إلى الهند. (3) إنه حدد فترة بقائهما في الهند سنة واحدة، بينما حددها باسيل لسنوات، ثم إن مارتن في بحث آخر له منشور على موقعه يذكر أنه غير متأكد كون مولانا خالد دخل الطريقة القادرية على يد الشيخ عبد الله أم على يد غيره، ويذكر أنه لم يجد المصادر المؤكدة في كون السادات النهرية تحولت إلى الطريقة النقشبندية. أنظر: Martin; *The Sadate Nehri* Pp.2 والذي يميل إليه الباحث أن مولانا خالد ترك السليمانية، ولم يدخل الطريقة القادرية في بلده بسبب الشيوخ البرزنجيين، مع كونه كان متلهفا للدخول فيها، ثم لما التقى الشيخ عبد الله النهري الشمزيني في نهرية، وذهبا معا إلى الهند، وبقيها هناك لسنوات، عادا وهما يحملان الطريقة النقشبندية، ولكننا نجهل الأسباب التي دفعتهم إلى هذا التحول الكلي من القادرية إلى النقشبندية، وهذا بلا ريب موضوع يحتاج إلى دراسة مستقلة.

³³ باسيل نيكيتين: الكرد ص 356-357.

³⁴ Martin; *The Sadate Nehri* Pp 2.

النقشبنديين في النعمة والرفاهية بفضل ثروة آبائهم، ويشبون متكبرين راضين عن أنفسهم، مما يؤدي بهم إلى نسيان مبادئ آبائهم وأجدادهم والحياة البسيطة التي كانوا يحيونها، ولن تكون الأولوية عندهم للأمور الدينية، إذ سيحاول هؤلاء المشايخ التدخل في الشؤون السياسية، ويأملون الوصول إلى السلطة، وباستغلالهم لنفوذهم على الناس البسطاء من أتباعهم يجعلون منهم عبيدا لهم، ويعملون على حرفهم عن حقيقة دينهم، فلا يفكرون إلا في إبقائهم في الخوف والهلع والخضوع التام لهم، إن خططهم الأنانية تلك ستكون غير مقبولة من الحكومة فترسل جيوشها إلى كردستان، ولأجل ذلك يجب قتله، ولن تبقى بعد ذلك سكينه أو عدالة... ثم لم يكتف خصوم مولانا خالد بهذه التأويلات، بل انتهوا إلى فكرة القيام بقتله: إن ذلك سيكون أمرا طبيعيا إذا كان خالد رجلا شريرا، أما إذا كان رجلا طيبا، فإن نتائج نفوذه تكون شؤما بالنسبة لكردستان، ولأجل ذلك يجب قتله، لأن ارتكاب القبيح لدفع الأقباح واجب"³⁵.

ولقد قال البيطار أحد تلامذة الشيخ يحيى المزوري عن قصة كيفية المؤامرة على قتل مولانا خالد قائلا: "وفي عام (1226هـ) لما شرف حضرة مولانا خالد شيخ الحضرة من الهند إلى السليمانية صمم الجماعة البرزنجية الذين هم أكابر بلدة السليمانية وأصحابهم وأتباعهم، وكانوا نحو مائتي رجل على قتل الشيخ خالد المذكور، واتفق رأيهم أن يقفوا بالسلاح يوم الجمعة خارج باب المسجد، فإذا خرج قتلوه وقطعوه إرباً إرباً، فلما جاء يوم الجمعة قام حضرة الشيخ قدس الله سره ومشى إلى المسجد، وكان معه بعض مريديه وجماعة من الحيدريين، فلما تمت صلاة الجمعة وقف الأعداء على الباب ينتظرون خروج الشيخ وهم بالسلاح الكامل، وكان من عادة الشيخ أنه لا يخرج من المسجد إلا بعد خروج الناس، فلما تكامل خروج الناس، ولم يبق في المسجد أحد، خرج حضرة الشيخ والتفت إلى صفوف الأعداء بعين الجلالة، فمنهم من هرب ومنهم من سقط مغمى عليه، ومنهم من صاح وانجذب، ومشى حضرة الشيخ إلى أن وصل إلى الزاوية بجماعته بدون أن يتعرض لهم أحد، وهذه القضية وقعت على رؤوس الأشهاد، فلم يبق أحد من أهل السليمانية إلا وعلمها"³⁶.

ولما استيأست المشيخة البرزنجية من عمل شيء ضد مولانا خالد، أرسلت كتابا إلى الشيخ يحيى المزوري، ومضمون الكتاب كالاتي: "من كافة علماء السليمانية إلى علامة الدنيا على الأطلاق والدين، حجة الإسلام والمسلمين، مولانا وشيخنا الشيخ يحيى المزوري العمادي متع الله تعالى المسلمين بطول حياته: أما بعد، فقد ظهر عندنا خالد وادعى الولاية الكبرى والإرشاد، بعد عوده من الهند إلى هذه البلاد، وهو رجل قد ترك العلوم بعد تحصيلها على وجه الكمال، واختار سبيل الضلال، ونحن قد عجزنا عن إلزامه، وقهره وإفحامه، فيجب عليك أن تتوجه إلى

³⁵ باسيل نيكيئين: الكرد ص 357-358.

³⁶ عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (د.م.ط.ت) 186-184/2.

طرفنا لإفحامه، ودفع ضلاله ومرامه، وإلا فقد عم الضلال بين العباد، وانتشر الفساد في البلاد، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

فلما وصل الكتاب إلى الشيخ يحيى وقرأه، قام وركب بغلته مع جملة من طلبته الفحول، وتوجه إلى السليمانية وقد استحضر في فكره عدة سوالات من أشكال المشكلات، في المعقول والمنقول، وفي الفروع والأصول، فلما قرب الشيخ من السليمانية خرج العلماء كافة وأكابر البلدة لاستقباله، وتقبيل يديه ورجليه وأذنيه، فلما دخل البلدة دعاه كل إلى منزله من السادة الأعيان، فأبى وقال لا بد أن ألقى هذا الرجل الآن، فتوجه إلى زاوية الشيخ قدس الله سره، فلما دخل عليه وسلم وحياه، استقبله الشيخ وصافحه وأحسن لقياه، فجلس الشيخ يحيى بجانب مولانا خالد وتهدأ للسؤال، فابتدره الشيخ في الحال، وقال له إن في العلوم مشكلات كثيرة، منها كذا وجوابه كذا ومنها كذا وجوابه كذا، وعدد له جميع الأسئلة التي أعدها للسؤال عنها، وأجاب عن كل منها بأحسن جواب بحيث لم يبق للإشكال باب، فانكب المترجم على قدمي حضرة الشيخ وعرف إجلاله، وطلب منه العفو والسماح والتوجه له بما يصلح أماله³⁷.

ويبدو أن المنافسة بين البرزنجيين ومولانا خالد وأتباعه بقيت على حالها، لذا ترك مولانا خالد مدينة السليمانية متجها إلى القسطنطينية، ومن ثم توجه إلى البلاد العربية، واستقر في سوريا، حيث توفي هناك عام (1826م)، ودفن في الصالحية³⁸.

قرية بارزان

بارزان قرية تابعة لعشيرة الزبياري، اكتسبت أهميتها التاريخية والاجتماعية في البداية نتيجة الصراع المرير والطويل بين شيوخ بارزان وأغوات الزبيار، وقد كان شيوخ بارزان متمركزين في قرية بارزان، كان أهالي القرية وما جاورها من القرى يشكون من ظلم الأغوات، فيلجأون إلى الشيوخ لكي ينقذونهم من الظلم والجور، فيتحول ذلك إلى صراع وخصام، وكانت الأغوات يستمدون شرعيتهم من الدولة العثمانية التي حولتهم في إدارة المنطقة لجمع الضرائب والأموال لخزينة الدولة، أما المشيخة البارزانية فقد كانت تستمد شرعيتها من الدين الذي يرفض جميع أشكال الظلم والجور، وخاصة تلك الأموال التي كانت تؤخذ منهم قسرا لصالح الدولة العثمانية، ذات يوم سمع الشيخ محمد البارزاني ضجة وصياحا خارج كوخه، فخرج ليواجه يهود بارزان، وقد تجمعوا حول داره يستجدون به ويطلبون منه الانتصاف من وكيل فتاح آغا الزبياري المدعو (بأثير طراطي) وخدمه الذين دأبوا على استخدامهم وتسخيرهم واستغلالهم زمنا طويلا حتى طفح الكيل، وما عادوا يتحملون... قال الشيخ محمد لأحد مريديه (فقي عبد الرحمن الدلاني): لا مبرر لسكوتنا عن الظلم، وعلينا أن نعمل شيئا لوقفه"³⁹.

³⁷ البيطار: حلية البشر 184/2-186.

³⁸ باسيل نيكيتين: الكرد ص358.

³⁹ ثي رةش: بارزان وحركة الوعي القومي الكردي (1826-1914) (د.م. 1980م): ص42.

والذي يهمننا هنا أن بارزان غدت معقلا ومنطلقا للمظلومين والمستضعفين للتمرد على الأغوات وظلمهم، فدام هذا الصراع بين المشيخة والأغوات زمنا طويلا، كانت النتيجة النهائية انتصار المشيخة على الأغوات في السيطرة على المنطقة، ومن ثم غدت القرية (بارزان) مصطلحا يطلق على كل من ينتسب إلى بارزان، والمصطلح يحمل في طياته مفهوما دينيا، وخاصة بعد أن تحول البارزانيون من القادرية إلى النقشبندية، ولذا يقال لكل من ينتسب إلى بارزان باللغة الكردية (ميله ت) وهي كلمة عربية تعني (الملة) حيث فيها دلالة دينية تشير إلى كل بارزاني يؤمن بالطريقة النقشبندية، ولا ريب أن العشائر السبع المعروفة، والتي هي تابعة لبارزان، لا تعرف عن هذه الطريقة شيئا باستثناء بعض مثقفيها، فالانتماء ليس من أجل الطريقة، بل هي انتماء صنعتها الظروف التاريخية المتقلبة.

تنحدر العائلة البارزانية من الأمير بهاء الدين أمير العمادية، وهو أخو الأمير شمس الدين الذي تحدثنا عنه سابقا، فبعد أن تذر الأمير مسعود من الإمارة، وتخلّى عن ملذات الدنيا، ترك العمادية، واستقر في قرية (هظندكا) الزبيارية، وأسس أسرة هناك قريبا من قرية بارزان، وبمرور الزمن استقرت العائلة في نهاية المطاف في قرية بارزان، لا ريب أن شجرة هذه العائلة معروفة ذكرها المؤرخة، ولكن لا أرى جدوى في ذكرها، بل سنشير إلى أهم الشخصيات في مجال موضوعنا.

علماء الإسلام في بارزان

يبدو أن قرية بارزان كانت مركزا معرفيا وعلميا مهما، للعلوم الدينية للأديان الثلاثة، وخاصة للعلوم الإسلامية، فقد عاش أشياخ هذه الديانات الثلاث في أمان وسلام ووثام، وسنبداً أولاً بالحديث عن علماء الإسلام:

أولاً) الحافظ العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن حسين بن عبد الرحمن الشهرزوري، ولد سنة (725هـ، 1325م) بقرية (رزيان) وهي قرية تقع بالقرب من قرية بارزان، وهو شيخ ابن حجر العسقلاني، وصاحب أشهر تحقيق للأحاديث الواردة في كتاب الإمام الغزالي (إحياء علوم الدين) بعنوان (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار)، وتوفي رحمه الله سنة (806هـ، 1404م)⁴⁰.

ثانياً) يحيى المزوري، وهو عبد الله بن يحيى بن خالد بن حسين، ولد عام (1145هـ، 1773م) في قرية (باله ته)، وقيل إنه من قرية (نقرطوش) التابعة لعشيرة المزوري البارزانية⁴¹، توفي رحمه الله في بغداد عام (1245هـ، 1838م)، ودفن في مقبرة باب الأزج بجوار الشيخ عبد القادر الجيلاني، ومن أشهر تلامذته البيطار

⁴⁰ ولقد ترجم العديد من علماء الإسلام له في الطبقات والتراجم، وخاصة تلميذه ابن حجر العسقلاني في كتابه (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) 74/1. وأنظر: الزركلي: الأعلام 334/3. ولكن الزركلي ذكر بدل (رزيان) كلمة (رازنان) ثم قال: من أعمال أربيل، وما ذكرناه هو الصحيح، لوجود القرية المذكورة في منطقة بارزان.

⁴¹ ثمة خلاف حول أصل يحيى المزوري، هل هو من قرية (بالتة)، أم من قرية (نقرطوش)، وعلى افتراض كونه من القرية الثانية أدرجته في قائمة علماء بارزان، وإن كان الباحث غير متأكد من ذلك.

صاحب (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر)، وقد أثنى على شيخه كثيراً في كتابه، ومما قاله بحق شيخه يحيى المزوري: "بحر العلوم، وحبر ذوي المنطوق والمفهوم، جامع المنقول والمعقول، وحاوي الفروع والأصول، أستاذ علماء العراق على الإطلاق، وملاذ فحول فضلاء الآفاق في حل المشكلات بلا شقاق، التحرير الهمام حجة الإسلام، الناسك العابد والتقي الزاهد، المتوجه بكله إلى الله والمعتمد عليه لا على سواه... كان من أكابر هذه الأمة المحمدية، وقد بلغ درجة الترجيح في الفقه، مع كونه بحر جميع العلوم النقلية والعقلية والرياضية، كما شهد له بذلك حضرة شيخ الحضرة مولانا خالد النقشبندي"⁴². ومن تلامذته شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المفسر صاحب تفسير (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني). وقد تحدث هو الآخر عن شيخه قائلاً: "هو إمام علامة أشهر من أن ينبه عليه، وأجل من يعرف بالإشارة إليه، لا يجاذب رداء فضله، ولا تدور العين في أصحابه على مثله، حامل أعباء التدريس والمعول عليه في مذهب الإمام ابن إدريس، بل لعمرى أنه كان واسطة قلادة علماء عصره، يعجز البليغ عن وصف فضله ولو بلغ النثرة بنثره، والشعري بشعره، كان عليه الرحمة للعلماء جمالاً، لكن إذا رأيت حسبه لعدم اعتنائه بنفسه حمالاً"⁴³.

ثالثاً) الشيخ عبد الله البارزاني، أخذ الإجازة العلمية والدينية من شيخه يحيى المزوري في العمادية عام (1824م)، يقول الشيخ يحيى المزوري وهو يتحدث عن تلميذه عبد الله البارزاني، قائلاً: "المولى الأجل، الفاضل الأمثل، الكامل الهمام اللودعي، المحقق الفرد الألمعي، الإمام ذو الفضائل الباهرة، والفوائد الزاهرة، مولانا العلامة الملا عبدالله بن الحاج الملا محمد الشافعي الكردي الشهير بالبارزاني". ونجد في نص الإجازة التي منحها يحيى المزوري لتلميذه ملا عبد الله ثناء عليه قائلاً: "الإمام الهمام، الفاضل الكامل، النقي النقي، معدن البيان والمعاني، المحقق المدقق، الملا عبد الله البارزاني"⁴⁴.

خلف ملا عبد الله وراءه ثلاثة أولاد (عبد الرحيم، عبد الرحمن، عبد السلام) وسنركز هنا على الشيخ عبد السلام لأنه ترك أثراً علمية يمكن العويل عليها، أما الشيخ عبد الرحمن فإنه لم يترك أثراً علمية، مع كونه قد أخذ الإجازة قبل أخيه الشيخ عبد السلام على يد السيد طه النهري، وفيما يخص أكبر أبنائه (عبد الرحيم) فإنه حيل بينه وبين الاقتداء بأبائه، فاشتغل بالزراعة، وفي آخر سني حياته كف بصره، فكان موضع رعاية شقيقه"⁴⁵.

رابعاً) الشيخ عبد السلام البارزاني. أرسل ملا عبد الله ابنه الشيخ عبد الرحمن إلى (نهري) لتلقي العلوم الدينية، وكذلك الطريقة النقشبندية على يد السيد طه النهري، يقول مارتن: "لقد أمضى تاج

⁴² البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر 184/2 وما بعدها.

⁴³ الألوسي: غرائب الاغتراب 9/1.

⁴⁴ أنظر: طوظارا طةذنين (دهوك، ضاٹخانا هاوار، هذمار 10، 1418، 1998) 139-140.

وقد نشرت هذه المجلة نص الوثيقة، وهي وثيقة تاريخية مهمة.

⁴⁵ بي رقتش: بارزان ص 27.

الدين الذي كان قد تلقى أصلاً تعليماً بصفته (ملاً) مرة أخرى من التعليم الديني في نهري، حيث أدخله السيد طه في الطريقة النقشبندية، وبقدر كافٍ من التعليم أعاده معلماً إلى بارزان، حيث كان نعمة الله آغا من قبيلة الزيباريين يمارس في ذلك الوقت حكماً استبدادياً على منطقة واسعة⁴⁶.

وما ذكره مارتن حول تلقيه التعليم الديني أصلاً من بارزان صحيح، لأن بارزان كانت تضاهي نهري من الناحية العلمية والمعرفية، كيف لا وفيها والده الشيخ عبد الله البارزاني تلميذ الشيخ يحيى المزوري، ولكن من عادة طلبة العلم التنقل في البلاد للتعلم في طلب العلوم، وأخذ التجارب من أهالي الأصقاع المختلفة.

بين تاج الدين وعبد الرحمن

لقد وقع كثير من الباحثين في خلط شديد حول الشيخ عبد الرحمن، ولذلك قال مارتن: "إن المعلومات المتعلقة بأوائل شيوخ بارزان غالباً ما تكون مشايعة مليئة بالتناقضات"⁴⁷. ومن هذه التناقضات الخلط بين عبد الرحمن وتاج الدين، فمعلوم أن كلا الاسمين لشخص واحد، فإن الشيخ تاج الدين كان يدعى أحياناً بـ (عبد الرحمن)⁴⁸ ولذلك نجد أكثر الباحثين يقولون بأن تاج الدين هو أول من نشر التصوف في بارزان، بينما باسيل نيكيتين يسمي الشيخ عبد الرحمن بدل (تاج الدين)، والحقيقة أن عبد الرحمن هو الاسم الحقيقي، بينما تاج الدين وصف وليس اسماً، فهو عندما عاد من نهري إلى بارزان، وتلقى العلوم الدينية وصفه أهالي القرية بتاج الدين، لكونه ذا علم وتقى وما إلى ذلك من صفات العلماء المعروفة.

ولقد أفيت ضالتي عند مايكل *Michael M. Gunter* حيث ذكر بأن: "تاج الدين أحياناً يطلق عليه عبد الرحمن، تم تعيينه من قبل السيد طه النهري خليفة له في بارزان، فكان أول شيخ صوفي نقشبندي ينشر التصوف في بارزان"⁴⁹. أما الكاتب ثي رةش فيقول: "والغموض لا يزال يكتنف المعلومات حول المكان الذي تم فيه تلقي الطريقة منه، ثم يذكر الآراء المتباينة"⁵⁰. والذي يراه الباحث أن الغموض لا يكتنف مكان تلقي الشيخ عبد الرحمن، وإنما يكتنف الشيخ عبد السلام الأول، فالشيخ عبد الرحمن تلقى العلوم والطريقة من نهري، ولكن لا ندري من أين تلقى عبد السلام الأول الطريقة؟ وإن كانت ثمة مصادر تشير إلى تلقيه من نهري أيضاً، لأن نهري كانت المركز الرئيس للطريقة النقشبندية في المنطقة آنذاك.

ومن التناقضات قول بعضهم بأن تاج الدين (عبد الرحمن) هو خليفة مولانا خالد النقشبندي، وهذا لا صحة له على الإطلاق، لأن الشيخ عبد الرحمن تم إرساله من قبل والده إلى نهري، ومن ثم بعد تلقيه تلك العلوم أو نقول بعد تخرجه عينه السيد

⁴⁶ مارتن فان برونسن: الآغا والشيخ والدولة 688/2-689.

⁴⁷ مارتن فان برونسن: الآغا والشيخ والدولة 688/2.

⁴⁸ ننيه القارئ إلى أنه كلما ورد اسم عبد الرحمن البارزاني فهو تاج الدين، ولذا سنقتصر على الاسم الأول أو نقول على الاسم دون الصفة.

⁴⁹ *Michael M. Gunter; Historical Dictionary of Kurds Pp.146.*

⁵⁰ ثي رةش: بارزان ص 27.

طه النهري خليفة له في بارزان، لمقارعة ظلم وجور أغوات الزيبار كما ذكر مايكل Michael قبل قليل.

ثم إن مارتن متردد كدأبه فيما يخص الشيخ عبد الرحمن البارزاني، فأحياناً يجزم بأن عبد الرحمن هو الأخ الأكبر لعبد السلام الأول، حيث يقول: "فإن عبد السلام الأول لم يكن ابن عبد الرحمن بل أخاه الأصغر"⁵¹. ثم في مكان آخر من الكتاب نفسه، نراه متردداً، ولا يجزم بما جزم به سابقاً⁵². ولا ريب أن عبد السلام هو الأخ الأصغر بحسب وثائق التاريخ.

وفي هذه الأثناء أي عندما تم تعيين الشيخ عبد الرحمن البارزاني خليفة للسيد طه النهري أي في سنة (1906م) انضمت أربع قبائل أخرى للمشيخة البارزانية لتكون قوة منافسة للزياريين، وهي قبائل (شيرواني، مزوري، بترودي، دولمري)⁵³، أما بخصوص القبائل المتبقية وهي ثلاث قبائل (طتردي، نزارى، وهركي بنهجي) فلما انضموا بعد، فعشيرة هركي بنهجي كانت تابعة للسادات النهرية، ولم تكن لها علاقة بالمشيخة البارزانية، وقد حدث الانضمام للعشائر المتبقية في فترات متأخرة.

لقد كانت العلاقة بين نهري وبارزان طيبة وجيدة للغاية، وخاصة من ناحية التبادل المعرفي والعلمي، فقد كان الشيخ عبيد الله النهري (1881- 1882م) - على سبيل المثال - يدرس في بارزان، ويطلع مكتبة بارزان الضخمة، وفي ليلة من ليالي الشتاء القارص التهمت النار المكتبة، ويروى سبب اشتعال النار فيها، أن الشيخ عبيد الله النهري كان يطالع ليلاً على نور مصباح زيتي فغلبه النعاس، وسقط المصباح، فانتشر زيتُه والتهب، ولما استيقظ الشيخ وجد السنة النار تتصاعد حوله، فصرخ مستغيثاً، وجاءت متأخرة، إذ كانت النار قد بلغت صفوف الكتب... وبهذه المناسبة نظم الشيخ عبد السلام الأول قصيدة لا يزال أهل بارزان يتذكرون بعض مقاطعها، إذ أن نسختها الكاملة مفقودة، ومطلع هذه القصيدة:

شەظتەك ل شەظیت زستانى
وختى بـتقرو بارانى
ناطر بقریبة حجرا بارزانى

في ليلة من ليالي الشتاء
وقت سقوط الثلج والمطر
التهمت النار حجرة بارزان⁵⁴.

وبعد وفاة الشيخ عبد الرحمن، خلفه ابنه (ملا محمود) ولكن يبدو أن مريدي الطريقة آثروا أن يخلفه أخوه الشيخ عبد السلام الأول، لكونه عالماً متمكناً، وذا

⁵¹ مارتن: الآغا 688/2.

⁵² المرجع السابق 689/2.

⁵³ وليام إيغلتن: القبائل الكردية ص 50.

⁵⁴ نى رەش: بارزان ص 29 بتصرف شديد.

خبرة، ولديه شخصية كارزماتية اجتماعية دينية، لذا ينبغي لأمثاله أن يتزعموا الطريقة، لكي تبقى الطريقة حية وفعالة، يقول ثي رةش: " وكان لتولييه زعامة المشيخة أثر هام في تحقيق المزيد من النجاح للطريقة"⁵⁵.

إلا أن مارتن يعطي صورة مغايرة لهذه المسألة، حيث يرى أن الشيخ عبد السلام الأول أعلن نفسه خليفة بعد وفاة أخيه، يقول مارتن: " وحينما توفي -أي الشيخ عبد الرحمن- خلفه أخوه -أي عبد السلام الأول- ببساطة، بل حتى أعلن نفسه شيخا بحكم حقه الشخصي، ما ولد غيظا كبيرا لدى عبيد الله خليفة طه"⁵⁶.

ويذكر مارتن في موضع آخر أن الشيخ عبد السلام الأول أعلن نفسه خليفة للسيد صالح- وهو أخو السيد طه النهري- واعترض كل من السيد طه وتاج الدين -يقصد عبد الرحمن أخي عبد السلام الأول-"⁵⁷. وهذا ما دفع الشيخ عبيد الله النهري أن يرسل جيشا قويا ضد بارزان"⁵⁸.

والذي يراه الباحث أن الشيخ عبد السلام الأول كان عالما متمكنا، ولم يكن زعيما سياسيا يتلهف للسلطة والزعامة، وعلى افتراض كونه قد أعلن نفسه خليفة، إلا أن ذلك كان بعد وفاة أخيه عبد الرحمن، ولم يكن في فترة حياته، وكونه قد أعلن نفسه خليفة أمر طبيعي، لأن مريدي الطريقة طلبوا منه ذلك، وقد قسم الشيخ عبد السلام الأول وقته بين قرينته (أستى) وقرية أخيه (بارزان) بعد وفاته، لإلقاء الدروس والخطب والمحاضرات، فقد تفرغ رحمه الله للعلوم والمعارف الدينية.

لقد كان الشيخ عبد السلام الأول بحق عالما متواضعا لا يعرف البطر والترفع على الناس، يأكل مما يأكله الناس، لا يختلف بيته عن بيوت الناس، وقد تحدث ويطرام عنه قائلا: " كان تنازلا عظيما من رجل عظيم أن يخرج للقاءنا على رأس الدرج، إن أغلب الشيوخ البارزين يتعمدون أن يكونوا خارج الغرفة عندما يدخلها الزوار الأوربيون كيلا ينهضوا في استقبالهم مؤكدين بذلك تقدمهم عليهم، لكن الشيخ البارزاني كان يدخر لنا تكريما أسمى من هذا بتنازله إلى تناول طعامه معنا"⁵⁹. وكان الشيخ يحمل هم العلم والمعرفة، حيث يهتم كثيرا بالطلبة، ويستقدم العلماء إلى المنطقة من أجل نشر العلوم الدينية، ومن الذين استقدمهم إلى بارزان، ملا أحمد بن عبد الخالق العقراوي"⁶⁰.

ترك الشيخ أثارا طيبة، حيث ألف كتابا في شرح العقائد في قرينته (أستى) سنة (1264هـ) حيث يقول رحمه الله: " قد وقع الفراغ من تسوية هذه الحاشية الموسومة بعبد الحكيم الواقعة على الحاشية الموسومة بالخيال الواقعة على شرح العقائد على يد الحقير الفقير عبد السلام بن ملا عبد الله بن ملا محمد البارزاني قرية، الزبياري عشيرة، في شهر جمادى الآخرة، في قرية (أستى) لأربع وستين مضين بعد الألف

⁵⁵ ثي رةش: بارزان ص34.

⁵⁶ مارتن: الأغا 523/2.

⁵⁷ المرجع السابق 689/2.

⁵⁸ المرجع السابق 690/2.

⁵⁹ ويطرام: مهد البشرية ص120.

⁶⁰ ثي رةش: بارزان ص91.

والمائتين من هجرة رسول الثقلين" ⁶¹. وقبل وفاته بثلاث سنوات ألف كتابا قيما في الفقه الإسلامي ⁶². وكتب رسالة باللغة الكردية، بعنوان (عقيدة الإيمان) ⁶³. وقام بترجمة رسالة (القدسية) وهي كلمات الشيخ خواجه بهاء الدين النقشبندی من الفارسية إلى الكردية ⁶⁴.

ولقد ترك لنا الشيخ عبد السلام الأول قصيدة رائعة تتكون من خمسة وتسعين بيتا، نظمها بتاريخ (1258هـ)، وسنقل القصيدة كاملا في نهاية الكتاب ترجمة وشرحا وتعليقا.

وبعد وفاة الشيخ عبد الرحمن ساءت العلاقة بين نهري وبارزان، أي بين الشيخ عبيد الله النهري، والشيخ عبد السلام البارزاني، واتخذت العلاقة منحا خطيرا، لولا تدارك ولده الشيخ محمد البارزاني بعد وفاة أبيه (1872م)، حيث ترك الشيخ عبد السلام بعده (قاسم ومحمد) وكان الشيخ محمد قد تربى في بيئة علمية وصوفية، واستطاع في ريعان شبابه، أن يلطف الأجواء بين نهري وبارزان، أي بين الأصل والفرع، بين الشيخ عبيد الله النهري والمشيخة البارزانية، يذكر مارتن أن الشيخ محمد البارزاني (عرض خانعا ولاءه للشيخ عبيد الله، ورجاه أن يمنحه الإجازة لتدريس الطريقة، وأثبت عملية استعادة العلاقات الودية مع المركز النقشبندی الرئيس في المنطقة" ⁶⁵.

ودأب هذه المشيخة أعني البارزانية أنها دوما تقف ضد الظلم، وتحاول ترسيخ مفهوم العدالة الاجتماعية لجميع شرائح المجتمع، بغض الطرف عن هوية الشريحة المعينة، وخاصة لأتباع الديانات الثلاث السماوية، ومثال ذلك، أن يهود بارزان لجأوا إلى الشيخ محمد البارزاني يشكون من ظلم أغوات الزيبار، وقد سبقت القصة. وقد كان يهود بارزان وضواحيها يصفون الشيخ محمد البارزاني بأنه بمنزلة أحد كبار أبحارنا، وهكذا المسيحيون حيث كانوا يقولون: إنه لا يختلف عن واحد من روحانييننا، نرجع إليه في أمورنا الخاصة كما نرجع إليهم ⁶⁶. وقد كان طبيعيا عند الشيخ أن يأكل في بيت مسيحي، ويتوضأ ويصلي ⁶⁷. وهذا الموقف ينبئ عن متانة

⁶¹ المرجع السابق ص35.

⁶² مةسعود بارزاني: بارزاني وبزرووتنقوةى رزطاريخوازى كورد (هتولير، وةزارةتى ثقروةردة، 2004) 16/1.

⁶³ وقد تمت طباعة رسالة الشيخ عبد السلام الأول، والتي كتبها باللغة الكردية، بعنوان (عقيدة الإيمان) في مطبعة وزارة الثقافة بأربيل عام 1999.

⁶⁴ وهي رسالة مطبوعة طبعتها وزارة الثقافة في أربيل عام 2002.

⁶⁵ مارتن: الأغا 536/2.

⁶⁶ ثى رةش: بارزان ص83.

⁶⁷ شةوكةت مةلا ئيسماعيل حةسنةن: روذانى لة ميذوى شورشى ئةليلول 1961-1975 (هتولير، ضاثنانةى وةزارةتى ثقروةردة، ض1، 1428ك، 2007) 184. ثبت في بعض الآثار عن صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنهم توضأوا وصلوا وأكلوا في بيوت أهل الكتاب، فقد صلى سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما في بيت نصرانية فقال لها أبو الدرداء: هل في بيتك مكان طاهر فنصلي فيه فقالت: طهرا قلوبكما ثم صليا أين أحببتما فقال له سلمان: خذها من غير فقيه. انظر: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية: إغاثة

العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، وبهذه المعاملة العادلة والحسنة غدا أبناء هذه القرية (بارزان) من الديانات الثلاث مخلصين لشيوخهم ولقومهم ووطنهم، فعندما احترقت مكتبة بارزان، وقد سبق ذكر القصة، بسبب الشيخ عبيد الله النهري، اقتحم أحد مسيحي بارزان المكتبة بعد أن لف جسده باللباد، وصار يقذف ما تصل إليه يده من الكتب إلى الخارج⁶⁸. ومثال آخر على إخلاص أتباع الديانتين لشيوخ بارزان، موقف تلك المرأة اليهودية البارزانية التي كشفت الرجل الذي أرسلته المشيخة السورجية لاغتيال الشيخ محمد البارزاني، فقد أرسل شيوخ السورجيين فدائيا إلى تكية بارزان، مدعيا أنه طالب توبة، لكن أنصار الشيخ شكوا فيه ووضعوه تحت الرقابة، ولما ضيقوا عليه، وأيقن بأن أمره افتضح حاول الهرب باتجاه البساتين، وكاد يفلت من المطاردين لولا امرأة يهودية دلتهم على مخبئه، والاتجاه الذي سلكه فأدركوه، وهو مختف في خرج، فأطلقوا عليه النار وأصابوه، واكتشفوا مسدسا كان يحمله في طيات ثيابه لتنفيذ ما أوكل له تنفيذه⁶⁹.

أما الأغوات فأكثرهم على العكس من ذلك تماما، يقول صموئيل أتينجر وهو يتحدث عن وضع يهود كردستان قائلا: "أما في كردستان فإن قادة القبائل لم يتوقفوا في اضطهاد اليهود أكثر مما كان عليه الأمر في البلاد الأخرى"⁷⁰. مثل هذه المواقف الجريئة للمشيخة كانت ضربة موجعة لأغوات المنطقة، فتأمرت الأغوات على المشيخة، وخاصة على الشيخ محمد، في كونه حلال الدم، لأنه خرج عن دائرة الإسلام، وارتد عن دين الله، وجاء بدين جديد، وما إلى ذلك من التهم العقديّة الخطيرة، وقد أوصلوا هذه التهم إلى السلطات العثمانية، فاستدعي الشيخ إلى الموصل عام (1885م)، ففرضت السلطات الإقامة الجبرية عليه، وبقي هناك لفترة، ثم فر وعاد إلى بارزان، ويبدو أن السلطات غضت الطرف عن فراره. إلا أن الأغوات استمروا في عدائهم للشيخ، لأن عودته سالما انتصار للضعفاء والمظلومين، مما دفع أهالي المنطقة إلى الإيمان بالطريقة أكثر، فكثرت أتباعها وأشباعها، حيث انضمت قبيلة (طهردي) إلى المشيخة، ويعني هذا ربما أن عشيرة طهردي انضمت إلى المشيخة البارزانية في نهايات عهد الشيخ محمد البارزاني، ثم بدأت عشيرة نزارى بالانضمام بعد تضعف سلطان الأغوات، وبروز دور المشيخة البارزانية، ولقد انضمت العشائر الست إلى المشيخة، عدا الهركي بنه جي، فقد بقي ولانها للنهريين، أو ربما مستقلين في بعض الفترات، ولعل تحولهم وانضمامهم تم في الفترات المتأخرة، وإن كنا نجهل تاريخ تلك الفترة تماما، والذي نعرفه أن الانضمام تم بصورة جد بطيئة، وتدرجية، وخاصة من ناحية تبديل العمامة الهركية

اللفهان من مصادد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي (بيروت، دار المعرفة، ط1، 1395هـ - 1975م) 153/1.

⁶⁸ ثي رةش: بارزان ص28.

⁶⁹ ثي رةش: بارزان ص65.

⁷⁰ جماعة من مؤرخة اليهود: اليهود في البلدان الإسلامية، ترجمة: جمال الرفاعي (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1415هـ، 1995م) ص17.

القديمة، بالعمامة الحمراء المعروفة، فذلك رمز البارزانية الظاهري. وأغلب الظن أن هذه العشيرة انضمت إلى الملة البارزانية في عهد الشيخ أحمد البارزاني. وقد حاولت الأغوات تنسيقاً مع شيوخ بجيل السورجيين - عندما دب الخلاف بينهم وبين شيوخ بارزان بسبب المرأة المخطوفة⁷¹ - الذهاب معاً إلى الشيخ (محمد صديق النهري) ليشتكوا إليه بثم وضعفهم ومظلوميتهم، وقد نظم شيخ بجيل (محمد السورجي) قصيدة أنشدها بحضرة الشيخ: قال فيها:

تويى صديقي صادق
تويى دةترسي لة حقيقي

⁷¹ وقصة المرأة المخطوفة كالآتي: أقيم في (روظي) - وهي قرية يسكنها رؤساء عشيرة الطوران - حفلة رقص مختلطة (رقةش بقلّةك) بمناسبة عقد قران دعي إليها الوجهاء، ومن بينهم (محمد حافظ) ابن الشيخ محمد السورجي، وفي أثناء الرقص وقعت عينا محمد حافظ على إحدى المشاركات في الرقص، وشعرت هي بما يكنه، فبادلته العاطفة، ونمت العلاقة مع الأيام، وكانت المرأة ذات بعل، له مقامه ومكانته في الوسط الطوراني، أخيراً وبعد لقاءات سرية اتفقا أن يقوم محمد حافظ بخطفها، ولم يكن خطف المرأة المتزوجة عند العرف القبلي بالأمر الهين، لأنه يعد انتهاكاً لأقدس الحرمات، وعلى أية حال سمحت (رقةشي) لنفسها بأن تختطف، فتركت دار زوجها ليلاً، ونزلت من القلعة خلسة حيث كان حبيبها ينتظرها في مشارف القرية فأسرع وأردفها خلفه، وانطلق بجواده فغاب في أحشاء الظلام، وما لبث الأمر أن انكشف، فتوجه زوج المخطوفة (شريف آغا) إلى الشيخ محمد السورجي الذي روعته الحادثة، وأصابته بصدمة مؤلمة، فحاول هذا إقناع ابنه برد الزوجة إلى بعلها ولكن دون جدوى، وعاد الشيخ محمد السورجي يلتمس من الزوج تسريح المخطوفة بالطلاق مخيراً إياه بين أن يختار لنفسه الفتاة التي يريد من بين العشيرة أو أن يطلب ما شاء من مال، إلا أن شريف آغا رفض رفضاً قاطعاً، ولما أعيت الشيخ الحيل طرد ابنه، وحرّم على القبيلة إيواؤه، فلاذ (محمد حافظ وحبيته بكهف، وصار يعيش عزلة تامة حافلة بالقلق والتوجس من طالبي الثأر (ما زال هذا الكهف يسمى باسمه إلى يومنا هذا) وفي آخر ربيع تلك السنة احتفى (محمد حافظ) بقبيلة (الهركي) في رحلتها الصيفية إلى مراعيها، سقط في يد شريف آغا، وتبين له عجز الطورانيين عن الثأر له من محمد حافظ لضعف عشيرته بالمقارنة مع السورجيين، فسكت على مضض، متربصاً بفرصته، وقد جاءت بشكل غير متوقع عندما حشر الشيخ محمد البارزاني في القضية من حيث لا يدري، فقد ارتأى بعض الفضلاء أن يوسطوه في الأمر، وزعم بعضهم بأن أقارب (شريف آغا) قصدوه في عام (1891) وطلبوا منه أن يجد حلاً للمشكلة، فأفتى بأن يفصل الخاطف عن المخطوفة، ولو أدى ذلك إلى استعمال القوة، ومن ثم رد الزوجة إلى زوجها، فأوكل تنفيذ الأمر إلى بعض خاصته، ومنهم (أحمد آغا بيرسيافي) كان الوقت خريفاً، وقد نزل الهركيون الرحل لتوهم، ومن بينهم محمد حافظ في الوادي المعروف، بوادي سوران، وأناخوا في موضع منه يعرف اليوم (طراً ئاظمةلى رومى) القريب من قرية شاندر البارزانية، فتبعهم رجال الشيخ، وتكرر أحدهم واختلط بالرعاة خارج المضارب، وتوصل إلى ما يريد معرفته من المعلومات، وفي ساعة متأخرة من الليل اقتحموا خيمة محمد حافظ الذي كان يغط في نومه مع (رقةشي) فأمسكوا بهما، وأبلغوهما بأن شيخ بارزان قد أمرهم بأخذهما إليه، ثم وقعت المأساة، فقتلوا محمد حافظ، ولم يكن الشيخ قد أمر بقتله، ولكن يبدو أن من بين النفر المكلفين بهذه المهمة أحد المريدين المتهورين، حيث تصور أن عقاب هذا الفعل هو القتل لا غير، وقد وقع الشيخ محمد البارزاني في حرج شديد، لأنه أصبح قاتل ابن الشيخ محمد السورجي. انظر: ثي رةش: بارزان ص 62-63. باسيل نيكيوتين: الكرد ص 368. وقد علق باسيل على هذه الحادثة قائلاً: "هذا النزاع الذي دل بجلاء على أن القيم والاعتبارات الدينية تأتي دوماً بعد المصالح العشائرية التي تنصدر كل القيم والاعتبارات".

تويى سقيدى مطلقى
تتمبى دكئى ناحقئى

وترجمة هذه الأبيات كالآتى:

أنت الصديق الصادق
أنت طالب الحق
أنت السيد المطلق

أنت تؤدب المارق⁷².

وقد أخرجوا قائمة بجرائم شيخ بارزان، وكان أهمها كالعادة، الإنحراف عن جادة الدين، نقل باسيل نيكيتين عن الشيخ محمد السورجى قوله للشيخ محمد صديق النهري وهو يتهم مشيخة بارزان: "إنني لا أستطيع قول شيء يا سيدي، إنك تعرف كل ما وقع، وأنا أفوضك عني كامل الصلاحيات، وأخضع مقدما لأي قرار تصدره، إن الخسائر المادية التي لحقت بي، والتي لا يمكن تقديرها، أنساها إكراما لمقامك، ولكن الأمر يختلف بسبب المذلة والمهانة التي أوقعها بنا رجال هذه العشيرة الوقحون، وهذه الأسرة القبيحة التي لا تحمل سماع اسمها، وهنا ألتمس أمركم المطاع، إنك تعرف أنهم لم يحرقوا قدسية القرآن الكريم، وقد رموا بصفحاته في الوحل، ودنسوا مصلاي بالأوساخ والقاذورات، لقد قطعوا أذان زوجاتي وخادمي ليستحذوا على أقراطهن التي في آذانهن، إن كل ما أمر به أنت أقبله منذ الآن بقلبي ولساني"⁷³. ولا يخفى مبالغة الشيخ السورجى وتطرفه في وصف مشيخة بارزان، وهم بلا ريب بعيدون البعد كله عن هذه الصفات الشنيعة.

فاستدعى الشيخ محمد صديق النهري الشيخ محمد البارزاني، وأودعه في سجن بدليس، بعد أن أفهم الشيخ النهري السلطات العثمانية أن هذا الرجل مجرم ومتهم وما إلى ذلك، ولقد كان الشيخ النهري حاكما مطلقا آنذاك، وقد تحدثنا عنه سابقا، بقي الشيخ محمد في السجن إلى سنة (1894م)، ثم أفرج عنه بعد أن علمت السلطات حقيقة الأمر، واستمر الصراع بين الأغوات والمشيخة إلى أن انتصرت المشيخة، وانهار نظام الأغوات في المنطقة، توفي الشيخ محمد البارزاني عام (1902م).

كان للشيخ محمد البارزاني خمسة أولاد وهم (عبد السلام الثاني، أحمد، بابو، محمد صديق⁷⁴، ملا مصطفى البارزاني)، وقد أوصى الشيخ الخلافة لابنه الشيخ عبد السلام الثاني، يعد هذا الشيخ أول من جمع بين المشيخة الدينية واليقظة السياسية، حيث تعد فترة زعامته نقطة تحول في تاريخ مشيخة بارزان، فمن الصراعات المحلية الضيقة بين مشايخ الطرق إلى الشعور بالمسؤولية الوطنية والشعور القومي من أجل استقلال كردستان، لكن المشكل أن خصومه كانوا يشكون من نواياه،

⁷² ثى رقتش: بارزان ص 69.

⁷³ باسيل نيكيتين: الكرد ص 368-369.

⁷⁴ لا أستبعد أن يكون الشيخ محمد البارزاني قد سمى أحد أبنائه محمد صديق إرضاء للشيخ محمد صديق النهري، وربما حاول بهذه السياسة الحكيمة أن يهدأ تشنج الأوضاع وتورمها بين مشيخة بارزان، وبين سادات النهري، وربما سماه لسبب آخر.

فيحاولون عرقلة مشروعه السياسي، وكانوا يتصورون أن الشيخ يهدف من وراء ذلك إلى فرض مشيخته على الآخرين، وقد صورت المركز (السادات النهرية) ما يقوم به الشيخ عبد السلام الثاني من تحركات وجولات في المنطقة تهديدا صريحا لهم، وهو ما كان يعتقد جازما الشيخ محمد صديق النهري، يقول مارتن: "فمع بداية القرن العشرين كان محمد صديق يعيش في نهري، وكان يعد الشيخ الأوسع نفوذا في كردستان الوسطى، ولقد تسبب تنافسه على النفوذ مع شيخ بارزان عبد السلام الثاني في شيوع الاضطراب في منطقة أورامار- الواقعة بين أراضي الشيخين - وكان يمارس حكما مباشرا على قبائل الهركي والطردي"⁷⁵.

إلا أن الشيخ محمد صديق النهري توفي عام (1911م) ولم يحقق أهدافه وخطه ضد الشيخ عبد السلام الثاني، فخلفه ابنه السيد طه الثاني، بعد صراع قوي على الخلافة مع عمه الشيخ عبد القادر، لكن الخلافة استقرت للسيد طه الثاني، وبالرغم من أن الشيخ عبد السلام الاثني كان في نزاع مستمر مع الشيخ محمد صديق إلا أن العلاقة أصبحت وطيدة وجيدة بمجيء ابنه السيد طه الثاني، حتى إنه لجأ إلى بارزان عندما كان مطلوبا من قبل السلطات العثمانية⁷⁶.

ولقد قام الشيخ عبد السلام الثاني بجولات عديدة لتحسين العلاقات بين العشائر الكردية، أو بتعبير آخر إصلاح البيت الكردي من أجل تحقيق الحلم الكردي في تأسيس كيان كردي مستقل، لذا زار الشيخ بهاء الدين النقشبندى في بارمني، مع أنه كان في نزاع دائم معه⁷⁷.

لقد تجاوز الشيخ عبد السلام الثاني الأطر الطائفية والمذهبية والمشيخية الضحلة، حيث نجده في جولاته متنقلا في مناطق بهدينان من أجل الأمة الكردية، وهذا موضوع تاريخي لا نلج في مضامينه، بل سنركز على ما له صلة ببحثنا. لقد قدم الشيخ وثيقة تاريخية مهمة للسلطات العثمانية، وهي تعد من أهم مطالب الكرد في تلك الفترة، وقد تم رفعها عام (1908م) ووقعها شيوخ المنطقة. أهم بنود تلك الوثيقة

- (1) جعل اللغة الكردية لغة رسمية.
- (2) جعل التعليم باللغة الكردية.
- (3) يعين القائمقامون ومدراء النواحي، وبقية الموظفين ممن يتقنون اللغة الكردية.
- (4) تجرى الأحكام بمقتضى الشريعة الإسلامية.
- (5) يعين لمنصب القضاء والإفتاء ممن على المذهب الشافعي، لأن المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة العثمانية.
- (6) تؤخذ الضرائب من المكلفين بمقتضى الشرع.

⁷⁵ مارتن: الأغا 685/2.

⁷⁶ المرجع السابق 690/2.

⁷⁷ كاميران عبد الصمد أحمد الدوسكي: بهدينان في أواخر العهد العثماني 1876-1914 (أربيل، مطبعة خاني، ط1، 2007م) ص143 وقارن مع مارتن: الأغا 690/2.

إلا أن السلطات العثمانية عدت الوثيقة إعلان دولة مستقلة، فرفضت الوثيقة، وأعدمت الشيخ عبد السلام الثاني في (14/12/1914م)⁷⁸، أما بخصوص الشيوخ الآخرين الذين وقعوا على الوثيقة، فقد أُلقي القبض على الشيخ نور محمد البريفكاني، وزج في سجن الموصل، فلم يلبث أن توفي فيه، أما الشيخ بهاء الدين النقشبندى البامرنى فإنه خلى عن سبيله، بعد أن نُصح الوالى سليمان نظيف بالعدول عن إعدامه⁷⁹.

من أهم ما أنجزه الشيخ عبد السلام الثاني

- (1) القضاء على النظام الإقطاعي.
- (2) توزيع الأراضي على الفلاحين⁸⁰.
- (3) منع الزواج القسري وأكل المهور والشغار.
- (4) بناء المساجد في القرى.
- (5) العدالة الاجتماعية بين جميع طوائف كردستان، وخاصة في قرية بارزان وضواحيها، لوجود أتباع الديانات الثلاث.

بخصوص النقطة الأخيرة، يقول دينيس كوماروف: "ينتمي سكان بارزان إلى طوائف متعددة من حيث تركيبها القومي والديني، إلى جانب الأكراد كان الآشوريين واليهود يشكلون جزءا من سكانها، فعاشت هذه الأقوام مع الأكراد بونام وسلام، فكان شيوخ البارزانيين يعاملون اليهود والنصارى معاملة حسنة"⁸¹.

وقد بلغ من تسامح الشيخ مع المسيحيين، أنه سمي بشيخ النصارى، وكانت الحكومة دائما تنظر بعين الحقد والكره إلى تسامح الشيخ مع النصارى⁸². بل لقد كانت جهات عديدة تشاطر الحكومة في نظرتها الحاقدة تجاه الشيخ، مما دفع بنائب القنصل البريطاني في ديار بكر إلى القول: "إن الشيخ عبد السلام بحق من أحسن شيوخ المنطقة، فلم يكن له مع الحكومة إلى فترة قريبة أية مشاكل، وهو عادل في معاملة رعيته، وحام للنصارى"⁸³.

وقد تحدث ويطرام عن قرية (أردل) المسيحية في منطقة بارزان كنموذج من هذا التسامح والعدالة، قائلا: "والحق يقال إن (أردل) تستحق التهنئة من عدة نواح، فأهلها يقرون أنهم لا يجدون سببا للشكوى من الناحية السياسية، لأن صاحب القرية

⁷⁸ إسماعيل، زبير بلال: ثورات بارزان 1907م- 1935م (كوردستان، مطبعة وزارة الثقافة، ط1، 1988م) ص36.

⁷⁹ جرجيس فتح الله: يقظة الكرد ص74.

⁸⁰ بخصوص النقطة الثانية وهي (توزيع الأراضي على الفلاحين) كتب ملا مصطفى البارزاني رسالة من باكو إلى مسؤول في الحزب البلشفي بتاريخ (15/11/1947م) قال فيها: "تتألف عشيرتنا من خمسين ألف شخص، لا يوجد إقطاع بيننا، يملك كل واحد منا أراضي ومواشيه الخاصة به، وزع شقيقي الشيخ عبد السلام في عام (1914م) الأراضي على الفلاحين بصورة متساوية". انظر: مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني 718/2.

⁸¹ البارزاني وشهادة التاريخ، ترجمه عنه الروسية بافي نازي وعبدى حاجي (بيروت، دار العربية، ط1، 1427هـ، 2006م) ص19.

⁸² ويطرام: مهد البشرية ص305.

⁸³ الدوسكي: بهدينان ص139.

وهو آغا سواربي، فيكون سيدهم الأعلى والحالة هذه شيخ بارزان الذي عرف بلقب شيخ النصاري، لأنه يعامل النصاري وأتباعه المسلمين على قدم المساواة، وتسامحه هذا جعلهم ينعمون بالأمن والحصانة من الاضطهاد والنهب والسلب"⁸⁴.

وكان هناك: " نزاع قبلي طويل الأمد بين قبيلة (التخوما) المسيحية، وبين بعض جيرانهم الكرد المسلمين، تفجرت براكينه مؤخراً، وبات يندّر بشر مستطير، وحاول الطرف المسلم محاولات غير مستحبة لإقناع إخوانه الآخرين في الدين بالإنضمام إليه لشن حرب (جهاد)، لكن الشيخ عبد السلام فض النزاع، ومنع أتباعه بالقيام من أي حركة، مع أن قبيلة التخوما رفضت إيواء الشيخ عندما كان الجيش التركي يطارده... ثم ذكر ويطرام: " أن تتو آغا كان يخرج عن أوامر الشيخ، وينوي مهاجمة المسيحيين، فأرسل الشيخ عبد السلام أحد أتباعه يحذره، إلا أن الآغا كان عنيدا فلم يطع الشيخ، فأعاد الرسول التحذير، لكن تتو آغا بقي مصرا، فقال له الرسول: كلمة الشيخ يجب أن لا تكسر، الشيخ أرسلني إليك لإبلغك بأن تبقى في دارك، فأجاب الآغا راكبا رأسه، أنا ما علي من الشيخ، فليرسل أمره إلى غيري، لأنني لا أطيعه، فقفز موفد الشيخ ورمى بنفسه على العاصي العنيد، وبعد دقيقة واحدة خرج من الغرفة مشهرا خنجرا تقطر منه الدماء، ف خلف تتو آغا ميتا في مجلسه، وهو يقول: كلمة الشيخ يجب أن لا تكسر"⁸⁵.

وقد كان الشيخ حذرا جدا من أن تستغل بعض المواقف الطائشة من الطرفين أي المسلم والمسيحي، من قبل بعض الأوغوات، ومن ثم تحويلها إلى جهاد مقدس ضد الكفار كما يتصورون. كتب نائب القنصلية البريطانية في (وان) رسالة بتاريخ 16 مايس (1914م) إلى سفير بريطانيا في أسطنبول لويس ماليت قائلا: " ويشار إلى الشيخ عبد السلام من قبل رؤوساء الكرد الآخرين أحيانا بالشيخ النصراني كمحاولة للتقليل من قيمته، وذلك لما يتصف به هذا الشيخ من التسامح والعدالة في التعامل مع النصرانيين في منطقتهم، ولكنه أصبح متهما من قبل الحكومة، وذلك لقيام بعض أتباعه بالهجوم على قرية نصرانية آشورية حيث قتل العديد من الرجال والنساء"⁸⁶.

وقد يبدو للقارئ أن الشيخ عبد السلام الثاني كان متسامحا مع المسيحيين فقط، ولكن الحقيقة أن العلاقة بينه وبين العوائل اليهودية كانت بالدرجة نفسها، إن لم تكن أكثر، ومثال ذلك العلاقة المتينة بين مشيخة بارزان وعائلة (غباي) أو (كباي) فعندما ألفت الدولة العثمانية القبض على الشيخ عبد السلام الثاني، وحكمت عليه بالإعدام، قدمت عائلة (غباي) آنذاك - وقد كانت أغنى عائلة في كردستان- كيسا من ذهب، وأرسلته مع (إلياهو غباي) إلى أسطنبول من أجل إنقاذ حياة الشيخ، وقد عاد (إلياهو غباي) مع أمر يلغي عقوبة الإعدام⁸⁷، ولكن العملية نفذت بحق الشيخ"⁸⁸.

⁸⁴ ويطرام: مهد البشرية ص129.

⁸⁵ ويطرام: مهد البشرية ص121.

⁸⁶ مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني 57/1.

⁸⁷ ولعل لهذا السبب أو غيره عجل الوالي سليمان نظيف بإعدامه، فلم ينتظر التصديق من أسطنبول، وربما سمع شيئا من هذا القبيل، لذا اتخذ إعدامه طابعا شخصيا، حيث يشم من تصرف الوالي المذكور رائحة الانتقام من الشيخ، والغريب أن الوالي المذكور كان كرديا.

ثم ذكر الكاتب أن هذه العلاقة بقيت بين ملا مصطفى البارزاني وأبناء تلك العائلة، وخاصة مع (ديفيد غباي) الذي زار البارزاني في جبال كردستان، لقد كان (ديفيد) غنيا من أغنياء عقرة (أكرى) وصاحب بساتين، وفي السادس من آذار عام (1975م) عندما انهارت الثورة، واستقر البارزاني في أمريكا بسبب مرضه العضال، وتوفي بعد ذلك في إحدى مستشفياتها عام (1979م)، حزن عليه ديفيد حزنا عميقا، أمرضه ذلك الخبر، تتحدث سلمة بنت ديفيد غباي قائلة: "عندما سمع والدي نبأ وفاة البارزاني جلس على الأرض، وبدأ يبكي، كان حزينا لم يأكل ولم يشرب ولم يمارس عمله، كان يجلس ليعتكف، وبعد ذلك بستة أشهر توفي هو أيضا"⁸⁹.

إن هذه العلاقات الاجتماعية الطيبة بين الأسر الكردية المسلمة، وخاصة البارزانية والعوائل اليهودية في تقديري أمر طبيعي، كيف لا؟ فقد عاشت هذه العوائل معا في كردستان لآلاف السنين، وقد كانوا أبناء وطن واحد، يحملون معا هممه، ويدافعون عنه، ويتعاونون مع بعضهم البعض عند الشدائد والرزايا والمصائب⁹⁰، وقد طوروا كردستان معا من النواحي المعرفية والثقافية والعلمية، فتجد القرية الواحدة جمعت بين لابتها المسجد والكنيسة والمعبد، فظهر أعلام وأخبار وحاخامات خلدتهم التاريخ، فهل يعقل، وهل من المنطقي أن تنسى هذه العلاقات، وتنهار لمجرد سياسة عنصرية متقلبة تقرر طرد هذه العوائل زرافات ووحدانا من كردستان⁹¹.

وعلى أساس هذه العلاقات الاجتماعية المتينة القديمة بين العوائل الكردية المسلمة والعوائل اليهودية يتذرع بعض الباحثين العرب وخاصة الإسلاميين منهم بأن العلاقة الكردية الإسرائيلية قوية، وأن كردستان غدت ساحة للصهاينة، والموساد وما إلى ذلك من التهم الخطيرة.

والذي يراه الباحث أن ثمة فرقا واسعا بين العلاقة الاجتماعية العائلية وبين العلاقة السياسية الاستراتيجية، فالأولى - أعني العلاقة الاجتماعية - قديمة وستبقى،

⁸⁸ يعقوب يوسف كوريه: يهود العراق، تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم (الأردن، الأهلية، ط1، 1998م) ص205-206.

⁸⁹ يعقوب كوريه: يهود العراق ص207.

⁹⁰ كان يهود كردستان أحيانا يسحبون أموال الكنيس لمصالح إنسانية عامة، لا علاقة لها باليهود والكنيس، فمرة في منطقة (ضالا) سحبت اليهود أموال الكنيس لتسديد دية قتييل لإحدى العائلات المسلمة، وفي قرية (قردا) جاء إلى الكنيس ذات مرة كردي مسلم يندب المصيبة التي ألمت به، إذ كان سيدخل السجن إن لم يدفع دينا مستحقا عليه يبلغ خمسن فرنكا، فما كان من الطاباي إلا أن نقده المبلغ من أموال الكنيس، وكان لذلك أثر عميق في المسلمين. إريك براور: يهود كردستان ص275.

⁹¹ كانت الهجرة الأولى ليهود كردستان عام(1812م) وفي عام (1949-1952م) هاجر ما يقارب مائة ألف يهودي من العراق وكردستان إلى إسرائيل. انظر: يهود البلدان الإسلامية ص139-144. طرد أغلب العوائل اليهودية من العراق قسرا وجبرا، ولكن مع ذلك كانت ثمة عوائل هاجرت بكامل رغبتها ومحض إرادتها، ولكن مع ذلك كان الخوف من الحكومات العراقية سيد الموقف بالنسبة لليهود.

ولا ضير في بقائها، فاليهود الكرد الذي هاجروا إلى إسرائيل يحتفظون بعلاقاتهم الاجتماعية مع الكرد المسلمين، وهي لا تدخل في الإطار السياسي العام، بل تبقى في إطارها الاجتماعي العائلي⁹².

يهود بارزان

مر اليهود بأحقاب مختلفة وأطوار متنوعة، وسنتحدث عن عصر الملكية من بين العصور اليهودية المتباينة لصلتها ببحثنا، تأسست المملكتان الشمالية والجنوبية في هذه الفترة، فالمملكة الشمالية وعاصمتها السامرة، وتسمى إسرائيل- تكونت من عشر قبائل، وكان زعيمها يربعام Jeroboam (922-931 ق.م)، أما المملكة الجنوبية فقد تكونت من قبيلتي (يهوذا وبنيامين) وعاصمتها (أورشليم) (القدس)، وقد بقي الانفصال بين تينك المملكتين قرنين (922 ق.م-722م)، وفي عهد سرجون الثاني الآشوري، هاجم الآشوريون عام (721م) مملكة إسرائيل الشمالية، وحاصروا عاصمتها السامرة، ودمروها، وأجلوا زهرة رجال المملكة إلى بلا (ميديا)⁹³. ولقد قدر بعض الباحثين عدد اليهود الذين تم طردهم إلى كردستان بثلاثين ألفاً، ومن هنا ندرك أن الرحالة اليهود وغيرهم الذين جابوا كردستان كانوا يبحثون عن هذه القبائل العشر *The Ten Lost Tribes of Israel*. يقول إريك براور وهو يتحدث عن الرحالة بنيامين التوديلي، وبيتاحيا الراتسبوني في القرن الثاني عشر الميلادي: "وكان هدفهما العثور على الأسباط (الأسطوريين) العشرة لإسرائيل، وهو الهدف الذي أغرى بالبحث العديد من الرحالة غير اليهود، وكذلك الرحالة اليهود إلى عصرنا الحديث"⁹⁴. وقد ذكر باسيل نيكيتين أن المبشر الأمريكي (كرانت) الذي اعتقد بعد زيارته للنسطوريين الجبليين عام (1840م) أنه اكتشف أحفاد سبايا اليهود أيام البابليين، وسماهم بـ(العشائر الضائعة)⁹⁵.

⁹² وفي زيارتي لجمهورية مصر العربية في السنوات الأخيرة تحدثت مع بعض المفكرين العرب من مصر، ومن هؤلاء الأستاذ فهمي هويدي، وكان أول سؤال يوجهه إلي، ماذا يفعل الإسرائيليون في كردستان؟ وهذا سؤال مستنسخ جاهز لكل كردي يزور البلاد العربية والإسلامية، أو يجري حواراً مع مثقفهم في مناسبة أو لقاء، وخاصة من الطبقة السياسية والمتففة، ولقد استغربت هذا السؤال، ثم تناقشنا الموضوع بإسهاب، وبيّنت له حقيقة هذه الزوبعة، وذكرت أنه على افتراض وجود اليهود، فهو يدخل في الإطار الذي ننددنا حوله، وهو الإطار الاجتماعي العائلي، ولا يدخل في الإطار السياسي والبروتوكولي، فعلاقات ملا مصطفى البارزاني مع اليهود كانت من هذا القبيل، ولم تكن في الإطار الذي يقع حوله بعض الباحثين العرب، والإسلاميين على وجه الخصوص، وخاصة إذا علمنا أن تلك العوائل اليهودية أصيلة من كردستان.

⁹³ عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي (الأردن، دار عمار، ط1، 1422هـ، 2002) ص81.

⁹⁴ إريك براور ورفائيل باتاي: يهود كردستان، ترجمة: شاخوان كركوكي وعبد الرزاق بوتاني (أربيل، مطبعة وزارة التربية، ط1، 2002م) ص31.

⁹⁵ باسيل نيكيتين: الكرد ص372.

تفرق اليهود وأعني بالذات القبائل العشر في أرجاء كردستان من أجل الاستقرار والسكن، ولا تفتأ آثارهم ثابرة وخاصة في القرى التي كانوا يقطنونها، أما بخصوص يهود بهدينان، فإنه قد جاء في رحلة بنيامين التوديلي في القرن الثاني عشر الميلادي أن يهود بهدينان هم بقايا الجالية الأولى التي أسرها (شلمنصر) الآشوري في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وقدر الرحالة عددهم خلال زيارته لمنطقة العمادية (أميدي) بحوالي خمسة وعشرين ألف شخص، ويتحدثون لغة التاركوم Taragom أي اللغة الجبلية⁹⁶.

ومن أهم قرى اليهود في بهدينان (تل كبر في زاخو، سندور وشندوخا في دهوك، بيت النور في العمادية، وسوندو في ريكان⁹⁷).

حاخامات كردستان

(1) الحاخام يعقوب بن يهودا مزراحي مدير مدرسة يهودية في العمادية⁹⁸.

(2) الحاخام علوان أفيداي من العمادية، وهو المصدر الرئيس لمعلومات رفائيل باتاي، يقول رفائيل: "وقد كان المصدر الرئيس لمعلوماتي هو الحاخام علوان أفيداي حاخام العمادية السابق، والذي يتمتع بمعرفة شاملة، واطلاع واسع على الأمور الحياتية لمجتمعه، وهو مصدر لم يبخل علي بأي معلومة طلبتها"⁹⁹.

(3) الحاخام رحايم بن حايم هكوكين، هاجر من كردستان إلى القدس، ورأس الطائفة اليهودية بها (1754-1767م)¹⁰⁰.

أما بخصوص قرية بارزان، فإن المعمرين من أهل القرية يذكرون: "أن اليهود كانوا أكثر عددا من المسيحيين والمسلمين مجتمعا، وتدل أسماء البساتين التي تتجاوز المائتين على ذلك، فهي ما زالت تحمل أسماء مالكيها الأوائل"¹⁰¹.

لم تكن بارزان مركزا علميا للعلوم الإسلامية فقط، بل كانت مركزا علميا لاتباع الديانتين اليهودية والمسيحية، يقول إريك: "في السابق كانت سندور وبارزان مركزين رئيسيين لتعلم الحاخامات والمذكين، وحتى اليوم يقول الناس في كردستان: التشريع من سندور، وكلمة الرب من بارزان، وفيما بعد آلت المرتبة الأولى إلى نيروه، أما اليوم فتحلتها زاخو، ويجري تدريب المذكين في العمادية وفي عقرة ودهوك أيضا"¹⁰².

⁹⁶ إريك بروار: يهود كردستان ص 62. وقارن مع: أحمد محمد أحمد: أكراد الدولة العثمانية تاريخهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي 1880-1923 (أربيل، مطبعة حجي هاشم، ط 1، 2009م) ص 119، وزبيدة محمد عطا: اليهود في العالم العربي (دم. مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، 2003م) ص 88.

⁹⁷ إريك بروار: يهود كردستان ص 16.

⁹⁸ المرجع السابق ص 282.

⁹⁹ المرجع السابق ص 23.

¹⁰⁰ يهود البلدان الإسلامية ص 139.

¹⁰¹ ثي رةش: بارزان ص 24.

¹⁰² إريك بروار: يهود كردستان ص 278.

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى الرحالة جوزيف إسرائيل بنيامين (بنيامين الثاني) (1818-1864م) الذي زار كردستان كرحالة، ومن المناطق التي زارها (زاخو، سندور، دهوك، بيت النور، ألقوش، عقرة، ثم بارزان)، ولقد تحدث الرحالة عن قرية بارزان وأهلها قائلاً: "إن الجهل الي يعانيه إخواننا اليهود هنا كبير لدرجة أنهم لا يقدرّون معه على تلاوة صلواتهم، وعلي الإقرار هنا متألماً بأنني لم أراهم في أي مكان في مثل هذا الوضع المزري غارقين في مثل هذا الفساد الخلقي كما رأيتهم هنا". وقد عقب إريك براور على كلامه هذا قائلاً: وهذا بالطبع تجن على الواقع عند ملاحظة بروز العديد من الحاخامات في بارزان... ولقد ذكر إريك أن الرحالة بنيامين: مكث في بارزان فترة وجيزة جداً لا تكفي للتعرف على حياة الناس... ثم يبرر إريك للرحالة قائلاً: وينبغي الأخذ في الحسبان بأن من شهد مثل ما شهده، وعاش في فترة حافلة بأمتة كثيرة عن كثب الرحلات، كان يفترض به أن يخلف وراءه وصفاً مختلطاً، وغير علمي لرحلاته، ولا شك أن الكتاب يحوي الكثير من المواضيع المهمة، ولكن مادته لا يمكن استخدامها في العمل العلمي إلا بعد إخضاعها لتمحيص منهج نقدي"¹⁰³.

حاخامات وأخبار بارزان

(1) الحاخام شمعون بن يونا البارزاني، ألف كتاباً باللغة الكردية بعنوان (شيهيطات البارزاني)، ولا يزال الكتاب مخطوطاً¹⁰⁴.

¹⁰³ المرجع السابق ص 45-46.

¹⁰⁴ إريك براور: يهود كردستان ص 278 وقد جاء ولتر فيشل بنسخة من هذه المخطوطة المؤرخة في (1660م) من كردستان. ومعنى الشوهيط أو الشوحيط المذكي الذس يذبح الحيوانات، وهو منصب رفيع قل من يتقلده لأهميته عند اليهود، وهي مهنة مريحة ومغرية، يحاول اليهود الحصول عليها بجميع الوسائل، وقد ذكر الرحالة بنيامين أن يهودياً أمياً قريباً من بارزان اشترى هذا المنصب المغربي من أحد زعماء العشائر مقابل مبلغ من المال يدفعه له سنوياً، وذلك لأنه لا يستطيع كل واحد أن يذبح الحيوان، لا بد أن يكون قد تخرج من مدرسة علمته التذكية (الشوهيط)، وهذا الأمر في الواقع صعب تطبيقه، فقديماً في منطقة الهركي عاش حاخام، وكان في الوقت نفسه شوحيطاً، وكان هناك سبعة حاخامات آخرين يعيشون في منطقة هركي، وذات يوم خرج الحاخام لتفقد حقوله، لأن يهود منطقة هركي يمتلكون أراضي كثيرة، أثناء غيابه ذبحت أخته ثماني دجاجات بنفسها، وطبختها في قدر استعارته، ودعت الحاخامات السبعة للعشاء، وعندما عاد أخوها في المساء، ووصل الحاخامات السبعة إلى داره، وضعت الأخت النبيذ والمزّه أمامهم، ثم جاءت بالدجاجات الثماني المطبوخة، وعندما انتهوا من تناول عشاءهم، سألتهم قائلة: كيف وجدتم مذاق لحم الدجاج؟ أجابها الجميع، جيد جداً، ومضت الأخت في حديثها قائلة: ليس هناك شيء غريب بشأن الدجاجات، أليس كذلك؟ فكما ترون ما تتطلب منكم وقتاً طويلاً كي تتعلموه تلعمته أنا في ساعة واحدة، فما أنا قد ذبحت الدجاجات بنفسي، وطبختها في الزبدة، عندها صرخ الحاخامات في أخيها، ماذا فعلت؟ فأجابهم مرتاعاً: لقد ظننت أن أحدم هو الذي ذبح الدجاجات، إذن فقد ظن كل منهم أن الآخر هو الذي ذبح الدجاجات، ونتيجة لذلك فرض الحاخامات على أنفسهم صيام ستة وعشرين يوماً كعقوبة، وحطموا القدور، وحبسوا الفتاة ثلاثة أشهر في بيت منفصل (جودا) وقد شاع حينها أن جميع الحاخامات توفوا خلال تلك السنة، وهكذا انقرض جنس الحاخامات في منطقة هركي. إريك براور: يهود كردستان ص 280-281.

- (2) الحبر ناتانيل هالييفي البارزاني، وابنه الحبر شموئيل البارزاني، وقصتهما الشهيرة مع شيخ بارزان، وتعرف القصة بشجرة الرمان الشافية¹⁰⁵.
- (3) الحاخام أهارون البارزاني، وقد عينته السلطات العثمانية كبير حاخامات كردستان، وبعد وفاته خلفه الحاخام (إياهو ساينغ)، ولكن في سنة (1913م) عادت الزعامة الحاخامية إلى العائلة البارزانية¹⁰⁶.
- (4) آسيناز البارزاني، ربية وعالمة يهودية، وهي تعد أول رابية في تاريخ اليهود الشرقيين (السفارديم)، وقد الفت كتابا عن الأمثال الكردية¹⁰⁷.

قصة شجرة الرمان الشافية

سأورد هذه القصة - مع طولها - لصلتها بشيوخ بارزان، وللتعليق عليها، لأنها بحاجة إلى تعليق وكلام، وذلك من باب الأمانة العلمية. قبل مائة وخمسين سنة في كردستان، وفي يوم الجمعة من منتصف عيد (السوكوت) جلس الحبر ناتانيل هالييفي، الذي كان قد تجاوز المائة، وابنه الحبر شموئيل جالسين في كشك لهما في قرية بارزان، وهما غارقان في دراسة مقالة (حكيفة) من التلمود، ويناقشان موضوع (المركافا) أي الملكوت أو عالم العرش الإلهي، وتاهت بهما الأفكار، وهما يحاولان حل معضلة معرفة ما يوجد فوق (المركافا)، وفجأة هبط شعاع أخضر توقف فوق (السوكه)، في تلك الساعة كان شيخ بارزان جالسا فوق سطح داره فرأى الشعاع الأخضر، فوق كوخ اليهودي، فدعا خادمه على عجل، وأرسله لمعرفة ما يجري، ذلك أنه كان متعجبا لأمر الشعاع الذي كان يرتفع إلى السماء دون أن يدمر شيئا، أسرع الخادم إلى الموقع، ولدهشته العظيمة رأى هو الآخر عمود النار الخضراء فوق (السوكا)، والحبر وابنه جالسان منكبان على كتبهما لا تلمسهما النار، فعاد الشيخ وأخبره بما رأى، وحال انتهائه من روايته ابتدره الأخير قائلا: الأمر الواضح الوحيد، هو أن هذين الإثنين ليسا حبرين بل سيدان من نسل محمد (صلى الله عليه وسلم)، وإلا كيف تنزل شعلة خضراء من السماء على بيت يهودي دون أن تلتهمه أو تدمره، إذهب واحضرهما في الحال لأسألهما عن شجرة نسبهما. امتثل الخادم للأمر، وعاد إلى الشيخ ومعه الحبر ناتانيل وابنه الحبر شموئيل، فسألهما الشيخ: ما معنى النار الخضراء التي وقفت ساكنة فوق سقيفتكما؟ أجابه الحبر ناتانيل: لا علم لنا بعمود النار، ولم نلاحظ شيئا لاستغراقنا في قراءة كتبنا المقدسة، لكن الشيخ قال: لا، ليس صحيحا، لقد رأينا جميعا تلك النار، والنار الخضراء هي نار السادة، فاذكروا لي شجرة نسبكم، إذ لا بد أن تكونوا من ذرية محمد (صلى الله عليه وسلم) فأجابه الحبر ناتانيل: أنت مخطيء، وهذه شجرة نسبي، وراح يذكر له شجرة نسبه، ويعد أسماء أجداده، لكن الشيخ لم يصدقه، وقال: أنتما من أولاد محمد (صلى الله عليه وسلم)

¹⁰⁵ إريك بروار: يهود كردستان ص309.

¹⁰⁶ يهود البلدان الإسلامية ص99.

¹⁰⁷ فرست مرعي: دراسات في تاريخ اليهودية والمسيحية في كردستان (أربيل، دار آراس، ط1، 2008م) ص28-29.

ويجب أن تتحولا عن دينكما إلى الإسلام، وإلا لقيتما حتفكما، قال الشيخ هذا، ثم أمر بحبسهما في زريبة الحيوانات، ولكي يعذبهما أمر بإشعال نار من الروث اليباس بالقرب منهما، فجلس الاثنان في الزريبة والدخان الخانق يدخل عيونهما، فكر الحبر ناتانيل مع نفسه قائلا: دعهم يقتلونني، لكني خائف على ولدي، ويجب أن أنقذ حياته، ونادى الحبر الأب خادم الشيخ يطلب لقاء الشيخ، ولما حضر بين يدي الشيخ قال له: يا شيخي، إنك تعلم بأنه محرم علينا العمل، ومغادرة منازلنا في السبت، فاسمح لنا أن نمضي يوم السبت في بيتنا كي نتمكن من التفكير بعناية فيما سنتخاره مما تفرضه علينا، أنقلب إلى دينك أو نختار الموت، وسنعود يوم الأحد لنبلغك بقرارنا، وافق الشيخ على اقتراح الحبر ناتانيل، فأسرع الأخير مع ابنه إلى دارهما وطفقا يرددان الصلوات والتبريكات، لأن السبت كان قد بدأ فعلا، وجلسا في البيت لتناول وجبة السبت، وكانا خلال ذلك يتأملان مصيرهما المحتوم، سأل الحبر شموئيل والده، ألا يلغي خطر الموت الداهم قانون السبت؟ أجابه الوالد: نعم يلغيه، وعندها نظر الابن إلى السقف حيث كان قد علق (رشكه) خفه الصيفي، ثم نهض وأزله وانتعله، فبدأ الحبر ناتانيل بالبكاء، فقال له ولده: لا تبك، أليس اليوم يوم السبت؟ أوليس البكاء محرما اليوم، فأجابه الوالد: دعني، فقد صار بكائي تسلية في هذا السبت، لأنه يخفف عذاب روحي، خرج الولد إلى وجهته، وسار الليل كله خوفا من أن يتبعه أحد، وفي الصباح بلغ نهر الزاب فرأى أمامه قرية صوريا، لكنه لم يلمح أي عبارة تعبر به النهر، ثم أجال بصره في الأنحاء فرأى على الضفة المقابلة للنهر يهوديين جاءوا - جريا على عادة الكرد- إلى الضفة النهر لقضاء الحاجة والإغتسال، فناداهما، وتولت المذكورين دهشة كبيرة لرؤيتهما الحبر شموئيل الذي كانا يعرفانه جيدا، فأسرعا بإرسال الكلك الذي يعمل عليه أحد المسلمين إلى الضفة، حيث شموئيل، لنقله إلى الضفة المقابلة، وما أن وصل حتى تلقياه بهذه الكلمات: يا إلهي، شموئيل إنه يوم سبت، كيف جئت إلى هنا في يوم سبت الله؟ يمكن لنا إذن أن نذهب للعمل على أنوال حياكتنا، فاستشاط الحبر شموئيل غضبا، ونظر إليهما بعينين تقدحان شررا، وقال: أنتما شريران حقا، فتحولا على الفور إلى شجرتي صفصاف يابستين لا أوراق عليهما إلا بضع وريقات صغيرة في قمتيهما كأثر يدل على أنهما كانا ذات يوم شجرتين خضراوين تطفحان بالحياة، في ذلك الوقت كان الحبر شيمون معلما وقاضيا في العمادية، وكان كذلك منجما عظيما، فاستنتج من قراءته تجمعات النجوم أن زائرا هاما سيأتيه يوم السبت، لذا أخبر زوجته التي كانت على وشك إعداد طعام السبت أن تعد للوجبة الثالثة دجاجتين محشوتين بأرز بدلا من واحدة إضافة إلى جرتين من أفرخ أنواع النبيذ، وفي مساء السبت جلس يهود العمادية كما كانت عاداتهم صيفا، في باحة كنيس عزرا النساخ، وكان المجتمع اليهودي في العمادية كبير العدد، فكان عدد الجالسين في المكان حوالي أربعمئة رجل يستمعون لخطبة الحبر شيمون، وفي منتصف خطبة الحبر شيمون، دخل رجل يعلو ملابسه غبار الطريق عبر الباحة خلصة، ثم جلس في الكنيس الخالي بجانب تابوت العهد المقدس، وتعرف الحاضرون على الفور على ابن الحبر ناتانيل بارزاني، وهم مندهشون لحضوره المفاجيء في السبت، ويتسائلون ما إذا كان متواجدا في المدينة منذ الليلة الفائتة، ولما انتهوا من

صلاة المنحة نهض الحبر شموئيل من مكانه في الكنيس، ووقف أمام المحفل اليهودي في العمادية، وقال: أتوسل إليكم أن تنطقوا بالحكم ضدي لأنني انتهكت حرمة السبت، عندها قال الحبر شيمون: أنا أعرف عقوبتك، تعال إلى داري فقد أعدنا لك الوجبة الثالثة، أعرف بأن خطرا قاتلا كان يتهددك، ولذلك انتهكت حرمة السبت، وفي يوم الأحد أرسل شيخ بارزان خادمه لجلب الحبر ناتانيل وولده، فأحضر معه الحبر ناتانيل وحده، وهذا أخبر الشيخ بهروب ولده وبقراره الذي اتخذه بتفضيله الموت على التحول إلى الإسلام، فأوشك الشيخ بسبب غضبه أن يأمر بقتل الحبر المسن، لولا أن رفع أحد مستشاريه - وكان رجلا مسنا يجلس بجانبه- صوته قائلاً: لم تريد قتل هذا الرجل المسن طالما إن رجله باتت أصلاً على حافة قبره، الأمر لا يستحق سفك الدماء، بإمكانك صرف جهدك للقبض على ابنه، اقتنع الشيخ بكلام مستشاره العجوز، واطلق سراح الحبر ناتانيل، وبعث برسائل إلى جميع شيوخ الكرد متقصياً مكان تواجد اليهودي شموئيل الذي هرب منه، طالبا إرساله حال القبض عليه مخفورا إلى بارزان، لأنه بخلاف ذلك سيلاحقهم وسيفه بيده، لكن كل الردود التي بلغت قالت بأنهم لم يروا أي أثر لليهودي شموئيل، إلا أن شيخ بارزان لم يعدم الحيلة، فقد كان يضرب الرمل، فكتب عددا من المعادلات واسم الحبر شموئيل على رمله، وعلم من النتيجة بأن الحبر شموئيل مختبئ في العمادية، فقام على الفور بتحرير رسالة لشيخ العمادية طالبا منه اعتقال وتسليم الحبر شموئيل، أما الحبر شيمون فقد كان يعرف بأنه لا بد وأن يأتي إلى العمادية من يبحث عن الحبر شموئيل، لذا فقد اصطحبه إلى كنيس عزرا النساخ، وطلب منه الاختباء في غرفة الجنيزا الخاصة بجانب الكنيس، فهناك ثلاث غرف كهذه ملحقة بالكنيس، وفي أولهما يخزنون النبيذ الخاص بالكنيس، وفي الثانية يحفظون رقوق التوراة شتاء، وفيها نافذة ضيقة تؤدي إلى الثالثة، والأخيرة مظلمة يخزنون فيها الرقوق القديمة المقدسة المخزنة منذ مئات السنين للتوراة وكتب الصلاة التي لم تعد تصلح للقراءة والإستخدام لطول فترة تخزينها، وتسمى هذه الغرفة الأخيرة الجنيزا، ادخل الحبر شيمون الحبر شموئيل عن طريق النافذة الوحيدة في الجنيزا، وزوده بالطعام والشراب، ثم أغلق عليه النافذة بعناية، ولدى تسلّم شيخ العمادية رسالة شيخ بارزان أمر بإجراء بحث دقيق بين اليهود، ولكن دون جدوى، لأن بحثه لم يطل غرفة الجنيزا التي ظلت عصية على الاكتشاف، فلم يتمكن لذلك من العثور على الحبر الهارب، فكتب بذلك لشيخ بارزان إلا أن الأخير لم يكن مقتنعا، فسأل الرمال السحرية ثانية، فجاءته الإجابة بأن اليهودي الذي يبحث عنه موجود في العمادية، فأرسل لذلك رسالة ثانية إلى شيخ العمادية فيها من الوعد والتهديد أكثر مما في الأولى، علم الحبر شموئيل من مخبئه بأن شيخ بارزان لجأ إلى السحر لكشف مكان اختبائه في العمادية، كما علم بانسداد منافذ الهرب في وجهه، فسأل الحبر شيمون بأن يسمح له بترك مخبئه، وأن يزوده بالتاليت (وشاح الصلاة) والتفلين، ثم رسم دائرة حول العمود الشمالي الغربي للكنيس، وتضرع إلى الله ليأخذ روحه في الحال حتى لا يقع في يد مطارديه، فمات من فورته، وهكذا وجدته يهود العمادية ميتا فأخبروا شيخهم الذي أعلم بدوره شيخ بارزان، ثم دفن الحبر شموئيل في مقبرة الأنقياء والقديسين، وأقيم نصب تذكاري

على ضريحه، ونثرت حوله بذور الرمان، ومن تلك البذور نمت حديقة رمان كثيفة
اشتهرت ثمارها بين اليهود والمسلمين¹⁰⁸.
ولنا ملاحظات نقدية حول هذه القصة.

(1) فترة وقوع هذه الحادثة الحزينة غير معلومة، حيث لم يؤرخ
لها المؤلف، وإنما قال قبل مائة وخمسين عاماً.

(2) ذكر المؤلف شيخ بارزان مطلقاً غير دقيق، لأن مجرد ذكر
شيخ بارزان لا يحدد الشخصية المقصودة، لأن شيوخ بارزان كثيرون، فأبي
شيخ يقصد به المؤلف، وإذا أطلق أريد به الشيخ محمد أو الشيخ عبد السلام
الأول أو الثاني، وهم بعيدون البعد كله عن هذه الصفات المناهضة لعقائد
الإسلام القطعية.

(3) لا يعقل أن يلجأ الشيخ إلى الرمال والسحر من أجل القبض
على الحبر الهارب، لأن ذلك مخالف ومناقض لأبسط قواعد الإسلام وأصوله
العقدية.

(4) غير معروف في أي فترة كان شيخ بارزان قويا يهدد الشيوخ
الآخرين، فمعلوم أن شيوخ بارزان كانوا في صراع مستمر مع أغوات
الزيباريين، ولم يكونوا أقوياء إلى الدرجة التي ذكرها المؤلف، بحيث يهددوا
شيخ العمادية.

(5) تاريخ شيوخ بارزان حافل بمواقفهم الطيبة والجديّة مع أتباع
الديانات الأخرى، ألم يسمى الشيخ عبد السلام الثاني بشيخ النصراني، وبحام
النصراني، ألم ينظر يهود بارزان إلى الشيخ محمد البارزاني كحبر من
أحبارهم، وذلك لمواقفه الطيبة والعادلة معهم.

(6) لا أشك أن للقصة أصلاً، ولكن عرضها وسوقها بهذه الصورة
غير دقيق، وخاصة أن بعض فقراتها مبالغ فيها أيما مبالغة. ثم إن المؤلف
ذكر في مواضع أخرى من كتابه ما يناقض ما ذكره هنا.

(7) ومما يدعوني إلى الشك في تفاصيل هذه القصة، أن هذا الكتاب
نفسه فيه تناقضات صريحة، مما يجعلنا نشك في بعض تفاصيلها، ولعل هذه
التناقضات من المترجمين أو ربما من المؤلفين، وسنتطرق إليها ههنا كمثال
على ما نحن بصدد في سرد قصة الرمان الشافية، يذكر الكتاب بأن قبر
ناتانيل هاليفي البارزاني في قرية بارزان، بينما قبر ابنه شموئيل في
العمادية، ثم نجد في موضع آخر من الكتاب نفسه يقول بأن قبر شموئيل
البارزاني في الموصل، وأنه كان يعيش في بارزان، وأجبر على مغادرتها
في شيخوخته، ولجأ إلى آشور (الموصل)، ثم يقول عن شموئيل بأنه والد
شيمون البارزاني المسمى بـ(شيري دين) الأسد المجنون، الذي هرب هو
الأخر من بارزان إلى العمادية التي مات فيها، ثم يذكر قصة شجرة الرمان
الشافية، وكأنه هو من أبطالها. والحقيقة أن شموئيل الهارب من بارزان مات
في العمادية ولم يمت في الموصل، وقد ذكر المؤلف ذلك، ثم إن شموئيل هو

¹⁰⁸ إريك براور : يهود كردستان ص309-314

المعروف بالأسد المجنون وليس شيمون، ثم إن شموئيل ترك بارزان هاربا من شيخ بارزان في ريعان شبابه، بينما والده الشيخ الطاعن في السن لم يستطع الهرب والفرار فبقي في بارزان حتى يوم وفاته، وقد قال المؤلف نفسه إنه قد تجاوز المائة سنة، ثم إن شموئيل ليس والد شيمون، لأن شيمون كان معلما وقاضيا في العمادية، ومنجما عظيما، كان قد استقبل شموئيل كصديق قديم، وهذا ما نلاحظه في الحوار الذي جرى بينهما، ثم إن شموئيل لم يلجأ إلى الموصل بل لجأ إلى العمادية، ومات فيها¹⁰⁹.

(8) ثم إن هذا الأسلوب الي عومل به الحبران اليهوديان مخالف لأبسط قواعد الإسلام وأصوله، وهي معلومة لدي المسلمين، فكيف يخفى على شيوخ بارزان، ثم إنني أتصور أن هذا ربما فعله أحد الإغوات الذين لا يعرفون من العقيدة الدينية إلا رسمها، ومن الإسلام إلا اسمه، على أية حال الاحتمالات كلها واردة، وعليه فإن الباحث يشك في هذه القصة.

المسيحية في بارزان

إن المصادر والمراجع حول المسيحية في كردستان متوفرة وكافية، وسنركز هنا على مسيحي بارزان، فقد كان في القرية كنيسة معروفة باسم (مريم العذراء) وكتاب العهد الجديد (قراءات طقسية من الإنجيل) لمؤلفها القس يوسف بن القس جورجيس بن القس إسرائيل بن القس هرمزد الألقوشي قد اشترته (شوني بنت أوشعني وأمها نسرت) من تلك الكنيسة في بارزان¹¹⁰.

رهبان وقسس بارزان

(1) القس داود بن الشماس يوحنا البارزاني صاحب كتاب (العهد الجديد) قراءات طقسية من الإنجيل.

(2) القس يعقوب بن شماس كانون بن أخ مزو (هرمز) بن إبراهيم البارزاني صاحب تفسير سفر الرؤيا.

(3) القس يعقوب بن القس كانون البارزاني آل نجار حيث كتب فصلا من إنجيل متى باللغة الكردية، وألف أيضا كتاب طقس القداص وصلوات.

(4) القس داؤد البارزاني، ألف عديدا من التراتيل والمراثي الحزينة، وهي أكثر من عشرين¹¹¹.

ولا جرم أن ما ذكرناه من نماذج عن علماء الإسلام وحاخامات وأحبار اليهود، ورهبان وقسس المسيحية في بارزان يدل دلالة جلية أن

¹⁰⁹ إريك براور: يهود كردستان وقارن بين هذه الصفحات مقارنة دقيقة ستجد ما ذكرناه صحيحا: ص313-314-352-287. وهي تناقضات عديدة لا مجال لذكرها، وهي تعطينا فكرة أن هذه القصة سبقت من غير تدقيق ولا تمحيص علمين، بل أوردها المؤلف نقلا عن يهودي كردي يستنطق ذكراته، ويستدعي ذكرياته السالفة، القابلة للخطأ والنسيان.

¹¹⁰ فرست: اليهودية والمسيحية ص120.

¹¹¹ المرجع السابق ص 120 وما بعدها.

بارزان كانت مركزا معرفيا مهما في التاريخ، من حيث انتشار العلوم والمعارف على اختلاف اتجاهاتها ومشاربها ومسالكها الدينية والمذهبية، ولم تتحول بارزان في تاريخها إلى صراع طائفي وديني، بل كانت دوما بؤرة للثورة والانتفاضة بشتى اتجاهاتها ضد الظلم والجور والطغيان والاستبداد على مدار التاريخ، ولقد أنجبت هذه القرية قادة وزعماء ثوريين خلدتهم صفحات التاريخ.

نهاية المشيخة البارزانية

وبعد إعدام الشيخ عبد السلام الثاني خلفه أخوه الشيخ أحمد البارزاني، آخر من يحمل هذا اللقب الديني¹¹²، لا جرم أن الشيخ أحمد من الشخصيات المثيرة للجدل في التاريخ، حيث نجد بعض الباحثين يتهمونه بشتى التهم، منها على سبيل المثال: إدعاءه الألوهية، وأنه إله بارزان، وتحويل القبلة من الكعبة إلى ذاته أثناء الصلاة، وإحراقه المصحف الشريف، وتحليله أكل لحم الخنزير، وتحوله من الإسلام إلى المسيحية وما شابه ذلك من التهم العقديّة الخطيرة¹¹³، ولقد دافع كوماروف عن الشيخ أحمد في كونه توصل إلى قناعة مفادها أن الإسلام لعب دورا سيئا للغاية في تاريخ الكرد، وغدا سلاحا في استعباد الكرد، لذا كان يود التخلص من تأثيره، وذلك بتشكيل مذهب خاص (دين خاص) للكرد، وإما إجراء إصلاحات في الإسلام على أرضية الواقع الكردي ويغدو مفهوما¹¹⁴.

وهذا الدفاع ليس في محله، وليس صحيحا مقارنة بأقوال وأحوال الشيخ المعروفة، وهذه التهم العقديّة الخطيرة سبق أنه اتهم بها والده الشيخ محمد البارزاني، فهي ليست غريبة على مشايخ بارزان، وذلك لكثرة منافسيهم من شيوخ الطرق الأخرى، وكذلك عداء الإغوات المعروفة، بله عناد الحكومات المتعاقبة على بارزان وأهلها، والذي يبدو لي أن هذه التهم لصقت بالشيخ أحمد البارزاني من قبل أعداءه وخاصة من قبل البريطانيين الذين كانوا يكتنون الحقد والعداء والكرهية للشيخ بسبب مواقفه العنيدة، فعندما قام الإنكليز سنة (1928م) بإسكان النساطرة قرب بارزان، استشاط غضب الشيخ أحمد، ورفض ذلك بشدة، وهذا ما أثار غضب وحقد بريطانيا، وحتى تلك الحرب التي وقعت بين البارزانيين والأشوريين كانت بريطانيا

¹¹² لقد حمل أولاده من بعده لقب الشيخ وخاصة كل من الشيخ عثمان ومحمد خالد، إلا أنه كان رمزيا، ولم يكن يحمل المعنى الديني الرسمي، كما كان في السابق، ثم إن الفترة لم تكن كافية، فقد اعترتها الاضطرابات والتقلبات السياسية المفاجئة.

¹¹³ ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج آل محمد (بيروت، دار الفارابي، ط1، 2004م) ص 283 وما بعدها، مارتن: الأغا 691/2 وانظر في الكتاب نفسه ص 435. وقران مع: البارزاني وشهادة التاريخ ص 29. وانظر: ميهداد نيزه دي: نايين وتايفة ناييني يةكان لة كوردستاندا، ورتيران لة نطليزية: كامتران فة همي (سليمانى، ص1، 2002) ت 22.

¹¹⁴ البارزاني وشهادة التاريخ ص 29.

وراءها¹¹⁵، تحقيقاً لمصالحها الاستراتيجية في المنطقة، وقد حثت بريطانيا الحكومة العراقية على مهاجمة بارزان عام (1931م).

ويعترف مارتن بأن المصادر البريطانية لا تحاول أن تخفي تحاملها على الشيخ أحمد ونفورها منه¹¹⁶.

ومن الأسباب التي دفعت بالشيخ أحمد إلى كراهية الإنكليز التعديلات الإدارية التي قاموا بها في الإدارة العثمانية القديمة، حيث ألحقت بريطانيا بارزان بعقرة، بينما كان الشيخ يفضل إلحاقها براوندوز، لأن عقرة كانت قلعة الزيباريين آنذاك، ومركز نفوذهم¹¹⁷. يبدو أن بريطانيا بهذه السياسة القسرية ضربت صفحات مجيدة من نضال شيوخ بارزان ضد أغوات الزيباريين عرض الحائط، لأن هذه السياسة تعني أن بارزان ستبقى تابعة للزيباريين ونفوذهم، لكونها قرية من قرى عشيرة الزيبار، فكل ذلك مجرد خلاف عائلي يمكن معالجته وحله بهذه الوسيلة الإدارية.

ومما يدل على بغض الشيخ أحمد للإنكليز قوله للكابتن (هولت) الضابط السياسي البريطاني: "أفضل مائة مرة أن أسلم نفسي للأتراك، أعدائي المكشوفين، على أن أسلم نفسي لعبيد الإنكليز"¹¹⁸.

وقد دفعت هذه التهم الشيخ رشيد لولاني البرادوستي إلى إعلان الجهاد ضد شيوخ بارزان لكونهم خارجين عن الإسلام، ومرتدين عن الدين¹¹⁹، وبعد أن انتصرت المشيخة البارزانية على أعدائها ومنافسيها وخصومها أرسل الشيخ أحمد البارزاني أخاه ملا مصطفى مع جماعة كبيرة من أتباعه، فطردت الشيخ رشيد من لولان، لأنه كان يعتقد بزندقة الشيخ أحمد البارزاني، ففر الشيخ رشيد البرادوستي إلى إيران، كان ذلك في تشرين الثاني عام (1913م)¹²⁰.

ويبدو لي من الناحية العلمية المنهجية أن مثل التهم العقديّة الخطيرة لا تأت من فراغ، فلا بد من وجود شيء وراء ذلك، والحقيقة التي لا جمجمة فيها أن الشيخ أحمد بريء من هذه التهم، إلا أن مريدي الطريقة ربما غالوا وتطرفوا فوقعوا في هذه الشطحات والمخالفات، وهذه هي طبيعة التصوف، وخاصة عندما يدخل أشياعه في حالة الفناء والسكر، وهي حالة معروفة في علم التصوف تعرف بالشطحات الصوفية، وقد حصل لكثير من الصوفية في

¹¹⁵ مةسعود بارزاني: بارزاني ويزووتتوي رزكارخوازي كورد ص 23. فقرة يدون نووري: بزاطي بارزاني (هتولير، نارس، ض 1، 2007) ت 410. *Historical Dictionary of Kurds*. Pp.23.

¹¹⁶ مارتن: الأغا 435/2.

¹¹⁷ جرجيس فتح الله: يقظة الكرد ص 186.

¹¹⁸ باسيل نيكيئين: الكرد ص 334.

¹¹⁹ زنار سلوبي: في سبيل كردستان (مذكرات) ترجمة: ر.علي (بيروت، دار الكتاب، ط 1، 1987م) ص 217.

¹²⁰ ديفيد مكدول: تاريخ الأكرد الحديث ص 285. وانظر: دانا ئادةمز شميدت: سةفقریک بوناو ثياوة نازاكانی كوردستان ت 186.

التاريخ، وهذا موضوع شائك لا مجال للحديث عنه، وعندما يصل الأتباع والمريدون إلى هذه الحالة، لا يمكن للشيخ ولا لغيره أن يوقفهم وبزجرهم وينهاهم، لأنهم في حالة غيبوبة لا يعرفون ما يقولون ولا ما يقومون به، وهذه ظاهرة معروفة في عالم التصوف في جميع الأديان السماوية وخاصة في التصوف الهندي والبوذي.

وهؤلاء يعرفون بالديوانة، وهم طبقة: "تمارس من الحرية أكثر مما ينبغي حتى تصل ممارستها هذه حد الاعتداء على حريات الآخرين، وكثيرا ما وقف الشيخ مكتوف اليدين أمام تطرفها، وعجز عن كبح جماح أعضائها، والسيطرة على تصرفاتهم، وقد ذكر الكاتب ثي رش مثالا على ذلك، حيث قام أتباع الشيخ محمد البارزاني بطرد أخي الشيخ الوحيد (ملا قاسم) من بارزان بالرغم من استنكار الشيخ محمد ومعارضته، وعللوا عملهم هذا بقولهم: إن التعاليم النقشبندية لم تروضه، ولم تترك فيه بصماتها لتجعله شبيها بشقيقه، ولم يستطع الشيخ محمد البارزاني فعل شيء لأخيه¹²¹.

وعندما يكون الشيخ مطبقا للتعاليم الأساسية في الطريقة ومتبعا لها بحذافيرها، فإنه يعظم في نظر مريديه، فيقعون في الطاعة العمياء، ويستجيبون لكل أمر صادر من الشيخ، ولو كان فيه ضرره، ولقد تحدث مارتن عن أتباع شيوخ بارزان قائلا: "وكثيرا ما كان يقال بأن أتباع شيوخ بارزان كانوا مستعدين وبلا أي نقاش أن يقذفوا بأنفسهم من على جرف شاهق إذا ما طلب الشيخ منهم ذلك"¹²².

والذي يريد الباحث أن يصل إليه أن الشيخ أحمد البارزاني بريء من هذه التهم الخطيرة، وأنها لفقت من قبل الإنكليز وخصوم مشيخة بارزان في ذلك الوقت، للحط من شخصيته الاجتماعية والسياسية والدينية.

كان الشيخ كسلفه من شيوخ بارزان يحاول تحقيق العدالة والمساواة بين شرائح المجتمع، ولا يفرق بين الناس للاختلافات الدينية والمذهبية، ويحمل في الوقت نفسه حسا وطنيا وشعورا قوميا، فلقد وجه إليه أندرانك الأرمني عام (1920م) رسالة يطلب منه إنقاذ عائلته المهتدة بالموت حسب تعبيره، من مجازر الأتراك، فلبى طلبه، وشكل فصيلة بقيادة (وليد بك)، وكان ملا مصطفى شابا من ضمن الفصيلة، فصارت الفصيلة بين العشائر الموالية للأتراك على أنها بطريقها إلى مذبحه الأرمن¹²³، هذه الحيلة مكنتها من إنقاذ

¹²¹ ثي رةش: بارزان ص57 بتصريف شديد.

¹²² مارتن: الأغا 522/2.

¹²³ من الأمثلة العظيمة في تأكيد العلاقة الطيبة والمتينة بين الكرد والأرمن موقف الشيخ سعيد النورسي، فقد كان الشيخ أمرا عسكريا على قوات الفرسان الحميدية في مناطق موش، وفي هذه الأثناء أمره الجنرال التركي (نوري ويسبي) بجمع كل الأرمن الموجودين في تلك المناطق سواء من الرجال والنساء أو الأطفال وقتلهم، فجمع بديع الزمان قرابة ألف وخمسمائة (1500) من الأرمن، وذهب بهم سرا على مقدمات الجبهة، وخطوط التماس مع الروس في واد، وأمر بإطعامهم، وما أن حل العصر، حتى أمر أحد الأرمن بالذهاب إلى الجيش الروسي، ونصحه بصياحه باستمرار (أرمن، أرمن) لكي لا يقتلوه، أخذوا وجهة نظرهم، هل هم على استعداد لفتح

عائلة أندرانيك، ونقلها إلى الأراضي السورية¹²⁴. وقد قتل من جراء هذه العملية (14) أربعة عشر شخصا من الفرسان البارزانيين¹²⁵. وحول مواقفه القومية والوطنية، فقد أرسل الشيخ أحمد البارزاني أخاه ملا مصطفى البارزاني للقاء كل من الشيخ عبد القادر النهري والشيخ سعيد بيران لمساعدتهم في الثورة ضد الكماليين¹²⁶. وقد توفي الشيخ أحمد البارزاني في مستشفى ابن سينا ببغداد (11 كانون الثاني (1969م)، وأصبح الشيخ عثمان خليفته، وشيخ بارزان، وقبل استئناف الحرب بين الحركة الكردية والحكومة ببضعة أيام في (آذار-مارس 1974م) غادر الشيخ عثمان بارزان، وانتقل مع أقرب أتباعه إلى بغداد، ولم يعد إلى بارزان مطلقا، واختفى هو الآخر في عام (1982-1983م) مثل البارزانيين الآخرين في بغداد، وكان الشيخ محمد خالد (أخوه الأكبر) في غضون ذلك قد بقي في المناطق المحررة خلال (1974-1975م)، ثم لجأ إلى إيران بعد انهيار الحركة¹²⁷.

ملا مصطفى البارزاني

ثمة دراسات وأبحاث ورسائل وكتب عديدة حول شخصية ملا مصطفى البارزاني من الناحية السياسية والاجتماعية والتاريخية، ولكن الجانب الذي سنتناوله لم يتطرق إليه باحث بدراسة أكاديمية مستقلة، وهو الجانب الديني¹²⁸، لذا سنركز عليه لضرورته وأهميته في الوقت الراهن، وخاصة أن هناك من يحاول تجريد ملا مصطفى من كل ما له صلة بالدين، وإظهاره وإبرازه في صورة زعيم ثوري لا علاقة له بالمجالات الدينية البتة،

الطريق أمام الأرمن، يذكر أن الأرمني وصل إلى صفوف الجيش الروسي الذي أبدى قائده ترحيبا بذلك، وبهذه الطريقة تمكن بديع الزمان من إنقاذ أرواح قرابة (1500) أرمني بريء. انظر: مارتن: الأغا 551/2، وقارن مع ماجد محمد زاخوي: الفرسان الحميدية 1891-1923 (دهوك، مطبعة خاني، ط1، 2008) ص187.

¹²⁴ البارزاني وشهادة التاريخ ص33.

¹²⁵ حةسنتى دانيشفتر: بارزاني لة وبيداني رودة لاتى كوردستاندا (هتولير، ض1، ضااخانةى وةزارةتى ثةرودة، 2003) 225/1. وانظر: مةسعود بارزاني: بارزاني وبزووتنةوةى رةطارىخوازى كورد ث 24.

¹²⁶ مةسعود بارزاني: بارزاني وبزووتنةوةى رةطارىخوازى كورد ص20-21. بارزاني لة مةهابادةوة بوئاس، وةرطيران: شةوكةت شىخ يةزدين (هتولير، ضااخانةى وةزارةتى ثةرودة، ض2، 2001) 281. البارزاني وشهادة التاريخ 13. ذكر مؤلف هذا الكتاب أن البارزاني التقى بالشيخ سعيد بيران بمدينة (موش) التركية.

¹²⁷ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية (بيروت، رابطة كلوه، ط1997، 2م) 208/3. ومارتن: الأغا 694/2.

¹²⁸ قدم السيد محمد ملا قادر عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني مقالا بعنوان (البارزاني والدين) لمؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني، لكنه لم يكن بحثا علميا يدخل في الإطار الأكاديمي، بل هو شهادات تاريخية لرجل عاصر الأحداث والوقائع، فهو يروي مواقف البارزاني حول بعض الجوانب الدينية، ولقد استفدت من مقاله.

صورة عالم ديني ممتاز، بمجرد هذه الضميمة، وهي لقب (ملا)، وتشير بعض المصادر الموثوقة أن البارزاني سمي (ملا مصطفى) لأمر آخر، يقول أحد معاصريه، وهو يسأله: "في سنة 1966 قلت للبارزاني، لماذا يطلقون على والدك وإخوانك لقب الشيخ أمثال الشيخ محمد والشيخ عبد السلام والشيخ أحمد والشيخ بابو؟ ولا يطلقون عليك لقب الشيخ، فقال: قبل أن أولد، كان في قرينتنا عالم (ملا) تقي ومخلص، يحبه أهالي القرية ويحترمونه، فلما ولدت سموني باسمه ملا مصطفى"¹³³. وهذه شهادة تاريخية من معاصر له للأحداث تثبت حقيقة هذا اللقب، وكيف جاء، ومتى أطلقه الناس على البارزاني، وعليه، فإن البارزاني لم يكن عالماً دينياً كما يتصوره البعض، بل كان له اطلاع متواضع على العلوم الإسلامية، وصاحب خبرة وتجربة مصقولة في السياسة والقتال والنضال.

ولقد اهتم البارزاني بالجوانب الدينية، وبعلماء الدين، لقناعته المطلقة أن هذه الشريحة مهمة للغاية، وإهمالها يعني إضعاف الثورة، ولا ريب أن علماء الدين آنذاك كانوا قوة لا يستهان بها في الثورات الكردية.

بعد (11) من آذار عام (1970م) وبناء على طلب البارزاني عين مجموعة كبيرة من علماء الدين في (12) اثني عشر فوجاً من حرس الحدود¹³⁴. وفي السنة نفسها أي بعد الحادي عشر من آذار أسس البارزاني اتحاد علماء الدين في كردستان¹³⁵. لذلك طلب من (محمد ملا قادر، فارس باوه، علي ههذار) بالتنسيق ومساعدة علماء الدين أمثال (ملا علي مفتي، ملا طلحة سعد، ملا قادر سكتاني، ملا سعيد ويسبي، ملا محمد خان، وملا حمدي السلفي، في 1970/10/21 عقد مؤتمر لإعلانه، وقد حضر المؤتمر البارزاني نفسه، مع أربع مائة شخصية دينية في جامع طلاله¹³⁶. وهذا الاتحاد لا يزال قائماً، ولكن دوره الريادي تضاعف وانكمش، بالرغم من دعم القيادة الكردية له، من الناحية المادية والمعنوية.

وفي ثورة أيلول عين البارزاني مجموعة من القضاة بين البيشمركة، خذ مثلاً (ملا مصطفى الهيراني، ملا قادر سكتاني، ملا ويسبي روستي، وآخرين)¹³⁷. وفي فترة من الفترات كان ملا محمد الباليساني قاضي الثورة، وعضواً في مجلس قيادة ثورة أيلول¹³⁸.

يقول الرئيس البارزاني: "عندما كان البارزاني في أعالي الجبال يحمل معه القرآن الكريم، وديوان أحمد الجزيري، بصورة دائمية، ولم يبعد عن نفسه هذين الشيئين أبداً"¹³⁹. والجمع بين القرآن الكريم وديوان الجزيري

¹³³ شتوكت مة لا ئيسما عيل حةسەن: روڤانی لة میڤووی شورشی ئیلول 243.

¹³⁴ مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني 744/2.

¹³⁵ متسعود بارزاني: بارزاني ویزووتنەوی رزطاریخواری كورد 226/3.

¹³⁶ مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني 744/2.

¹³⁷ المرجع السابق 745/2.

¹³⁸ عباس علي سليمان باباني: إسهام علماء الدين الكرد في كردستان العراق ص 69.

¹³⁹ مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني 957/2.

له دلالات قوية، لكونه جمع بين الشعور الديني المستمد من القرآن الكريم، وبين الحس القومي والوطني المستقى من ديوان الجزري، وبهما تكتمل المعادلة، وهي معادلة واقعية قل من يتنبه لها من القادة في الحياة السياسية. وعندما زار عبد الرحمن عارف رئيس جمهورية العراق مدينة ديانا، والتقى بالبارزاني، وبعد أن تناولوا الغذاء، تبادلوا الهدايا، وكانت هديتهما عبارة عن المصحف الشريف، وعندما سأل عبد الرحمن عارف البارزاني عن مطالب الكرد، وماذا تريدون منا؟ رفع البارزاني المصحف الشريف، فقال له: نحن نريد منكم أن تطبقوا هذا القرآن، وتجعلوا منه منهج الحياة، وليس لنا مطلب آخر سواه، ولا نريد منكم شيئاً¹⁴⁰.

لا شك أن جواب البارزاني كان جامعاً مانعاً، لأن القرآن الكريم قد اعترف بحقوق الأمم والشعوب في آيات قرآنية عديدة، ولن نتطرق إلى هذا الموضوع لأنه بحاجة إلى دراسة مستقلة، ولكننا نشير إلى الآية التي فصلت هذا الموضوع، وأعطت العلاج الناجع، والحل الصائب لهذه المشكلة، أعني مشكلة الأقليات والشعوب والأمم وفلسفة التعايش بينها، وعدم رفض الآخر والغاءه، قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ¹⁴¹.

ولقد كان البارزاني يحول كلماته، والتزامه بالدين إلى واقع عملي، يذكر الرئيس البارزاني أنه في سنة 1963 وصل البارزاني قرية (بناظي)، وكنت معه، فوقفت فتاة لم تتجاوز العشرين من عمرها في طريقنا وقاطعتنا، وهي تبكي وتصرخ، دلوني على البارزاني، فقال لها البارزاني: ماذا تشكين؟ فقالت: زوجني والدي بعجوز يبلغ السبعين من عمره عن طريق الشغار، فاستدعاه البارزاني ونصحه بالعدول عن ذلك، لأن ذلك مخالف لتعاليم الإسلام، ومخالف للقانون¹⁴².

والحقيقة أن جميع ما ذكرناه كان قبل هجرته إلى روسيا، فلعله تغير هناك، ولم يبق كعادته، وعلى دينه وعقيدته الدينية، فلعله تحول من عقيدته إلى أيولوجية أخرى معاكسة، وخاصة في بلد طغى عليه الفكر الشيوعي، وحكم لمدة زمنية كافية، وينضاف إليه أن البارزاني قد بقي لحقبة زمنية كافية في روسيا، وهي تقارب اثنتي عشرة سنة، وهي فترة مناسبة من الناحية النفسية لأي تحول أيولوجي وسياسي واجتماعي ونفسي يطرأ على الإنسان المغترب.

بقي البارزاني مع أتباعه في روسيا ما يقارب اثنتي عشرة سنة، إلا أنه بقي على عقيدته الدينية، ولم يتأثر من الناحية الدينية بالأجواء اللادينية، يقول

¹⁴⁰ عباس علي سليمان باباني: إسهام علماء الدين الكرد في كردستان العراق ص 69.

¹⁴¹ سورة الحجرات الآية 13.

¹⁴² مةسعود بارزاني: بارزاني وبزوتنةوةى رزطاريوخوازي كورد 93/2.

آدمز: "إن البارزاني مع كثير من أتباعه في روسيا بقوا على عقيدتهم الدينية، واستمروا على ذلك إلى أن عادوا إلى وطنهم"¹⁴³.

ولقد أفهم البارزاني القيادة السوفياتية، بأنه لا هو ولا الحزب الديمقراطي الكردستاني شيوعيون¹⁴⁴. وقال لهم بصريح العبارة: "نحن مسلمون، والمسلم المستقيم لا يتحول إلى شيوعي، ولقد مضى على غربتي في روسيا اثنتي عشرة سنة، ولم أتحوّل إلى شيوعي"¹⁴⁵.

وعندما قام البارزاني في عام (1956) بزيارة أرمينيا للقاء الكرد، قال له نادوي خدو محمودوف¹⁴⁶: "إن طريق تحرير الشعب الكردي يمر عبر الماركسية اللينينية، والأيدولوجية الشيوعية، استاء البارزاني علنا من كلامه هذا، كعادته شد فكيه على بعضها البعض، قائلا له: نادو، نادو، نحن أيضا نعرف الماركسية - اللينينية، ونعرف الأيدولوجية الشيوعية، ونعرف أيضا الطرق والوسائل الأفضل لنيل حقوق الشعب الكردي"¹⁴⁷.

والحقيقة أن البارزاني كان متمسكا بعقيدته، فإنه بالرغم من معاناة الغربة، غربة الوطن والدين واللغة والثقافة، فإنه لم يتخل عن عقيدته، ولو كان رجلا يتطلع إلى المناصب وحب الظهور وملذات الدنيا، لتنازل عن عقيدته في سبيل ذلك، علما أن روسيا كانت لها كلمتها في المحافل الدولية، وفي القرار السياسي الدولي، ومع موقف البارزاني الصارم تجاه الشيوعية، فإنه رضي بالدعم الروسي، وأن يكون حليفا له في سبيل دعم القضية الكردية، لذلك قال للقيادة السوفيتية: "لو يدعم الاتحاد السوفيتي الشعب الكردي وحركته التحررية أسوة ببقية شعوب الشرق الأوسط، فإن الكرد مستعدون وبشكل صريح، وبكل الوفاء الارتباط معه، واعتبار نفسه حليفا له"¹⁴⁸.

الحرية الدينية عند البارزاني

عاش أشياع الديانات الثلاث في كردستان في وئام وسلام بصورة عامة، ولم تتحول كردستان في تاريخها إلى صراع أيديولوجي ديني بحيث تتحول الصراعات إلى حروب طاحنة، وقد تحدث مشاكل بين فئات من الناس، وبين بعض أشياع الديانات، لكنها لم تكن على أساس طائفي وديني، يتفق كل من (مينورسكي وسون وأداموف وويطرام) مع رندو إذ يقول: "كانت المسألة

¹⁴³ دانا ئادقم شميدت: سةفقریک بو ناو ئیاوے ئازاکانی کوردستان 215.

¹⁴⁴ وزیرى آشو: دوسية البارزاني في محفظة ستالين الفولاذية ترجمة: اسماعيل حصاف (أربيل، مطبعة خانى، ط1، 2008م) ص34.

¹⁴⁵ دانا ئادقم شميدت: سةفقریک بو ناو ئیاوے ئازاکانی کوردستان 214.

¹⁴⁶ نادوي خدو محمودوف هو النائب الأول لوزير المواصلات في حكومة أرمينيا، وهو أديب ومؤرخ كردي معروف في سنة 1959 أصدر كتابه: الشعب الكردي باللغة الأرمينية.

¹⁴⁷ وزیرى آشو: دوسية البارزاني ص40-41.

¹⁴⁸ المرجع السابق ص34.

بين الكرد والمسيحيين مسألة عشائرية أكثر من كونها دينية¹⁴⁹. والدليل أن قرى كردستان مليئة بالمساجد والمعابد والكنائس، فقد تجد في القرية الواحدة معابد لأشياء الديانات الثلاث، وخاصة في إمارة بهدينان، يقول توماس بووا: "إن الأكراد مجتمع متعدد الديانات والاعتقادات الروحية لوجود تنوع واضح في تعدد الأديان، وانتشار للمذاهب الدينية المتعددة، فغير تلك المنتشرة في محيطهم، تنتشر في كردستان مذاهب خاصة بهم فقط، ولهذا يمتلك شعب كردستان فيسفاء ديني أشمل من ذلك الذي يمتلكه البلدان المجاورة"¹⁵⁰. وهذا الفسيفساء الديني نجده بصورة جلية في إمارة بهدينان، يقول المؤرخ الشهير جليلي جليل: "إن إمارة بهدينان كانت من أكثر الإمارات الكردية تنوعاً لجهة التركيب السكاني، الديني والقومي، وخاصة في مدنها الرئيسية، حيث عاش الكرد المسلمون والأيزيديون والآشوريون والأرمن واليهود بجانب أبناء القوميات الأخرى"¹⁵¹. ولعل مدينة زاخو على سبيل المثال خير مثال يجسد حقيقة التعايش الديني في المنطقة، فقد: "كان المسلمون واليهود والمسيحيون والإيزيديون في أطراف المدينة يعيشون في محبة ووثام دون أن يفرق بينهم دين أو قومية، ولم يسجل أي نزاع على أساس عرقي أو ديني أو طائفي على مدى العصور"¹⁵².

ويتحدث مينورسكي عن العلاقة الطيبة بين الكرد والأرمن قائلاً: "إن الأكراد يعيشون مع النسطوريين في منطقة هكاري منذ الأربعينيات من القرن الماضي، ولكن لم يحدث أي شيء بما يشبه مذابح الأرمن... ثم قال: أظن أن علاقة الأكراد بالأرمن في الأزمنة القديمة كانت جيدة"¹⁵³. أما الحديث عن موقف البارزاني من التعايش الديني (التعددية) *Pluralism* فإنه سيجرنا إلى الحديث عن قرية بارزان، وقد تحدثنا عنها بما يكفي، فقد كانت القرية تحتضن بين دفتيها المسجد والكنيسة والمعبد (الكنيس)، وبرز علماء أجلاء مسلمون أمثال الحافظ العراقي، وحاخامات عظام أمثال أهارون هاليفي كبير حاخامات كردستان في عهد السلطنة العثمانية، ورهبان وقسس أمثال القس داود البارزاني، عاش هؤلاء مع بعضهم البعض في وئام وسلام وتضامن وأمان على مر العصور والدهور. ولا ريب أن هذا التعايش الديني الناجح بين أتباع الديانات المختلفة مما يفتخر به أبناء كردستان، وسبب هذا الاستمرار في العيش معا بسلام وأمان يرتد إلى دور شيوخ بارزان، فقد ذكرنا سابقاً كيف أنهم اتهموا بشتى التهم العقديّة الخطيرة لمواقفهم الطيبة تجاه أشياع الديانات الأخرى، وبهذه

¹⁴⁹ باسيل نيكيتين: الكرد ص 322-323.

¹⁵⁰ أحمد محمد أحمد: أكراد الدولة العثمانية ص 116.

¹⁵¹ المرجع السابق ص 146.

¹⁵² سعيد الحاج صديق الزاخوي: زاخو الماضي والحاضر (دهوك، مطبعة الخاني، ط 1،

2008م) ص 355.

¹⁵³ ف.ف. مينورسكي: الأكراد ملاحظات وانطباعات ترجمة معروف خزندار (بغداد، مطبعة

النجوم، 1967م) ص 79.

المواقف، وبهذه الفلسفة الأخلاقية بقيت المنطقة آمنة مطمئنة من آفات التعصب الديني والمذهبي.

ويحاول بعض الباحثين أن يعزو نجاح هذه التعددية الدينية والتعايش الديني إلى عادات القوم وتقاليدهم وثقافتهم التي رسخت هذه الفلسفة، ويجرد شيوخ بارزان من أي تأثير لهم في ترسيخ هذه المبادئ، والذي يراه الباحث أن هذه الفلسفة غدت راسخة في هذه المنطقة بفضل دور علماء الدين، وخاصة من قبل شيوخ بارزان، الذي استمدوا هذه المبادئ من فلسفة الإسلام الصريحة، ففلسفة الإسلام قائمة على حرية الدين والاعتقاد، فلو تتبعنا نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، لأفينا كما هائلا من النصوص الدينية الدالة على ما نحن بصدده، ولن نستطيع هنا التطرق بتفصيل إلى هذا الموضوع، فالحديث عن ذلك يتطلب دراسة مستقلة، وإنما سنشير إلى بعضها، قال تعالى { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفصامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }¹⁵⁴. وقال تعالى { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } سورة {¹⁵⁵. وقوله (صلى الله عليه وسلم): "إلا من ظلم معاهدا، أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة". وأشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأصبعه إلى صدره، ألا ومن قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله، حرم الله عليه ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفا"¹⁵⁶.

وقصة عمر بن الخطاب (رضي الله) لما ذهب لاستلام مفاتيح بيت المقدس دخل كنيسة، فلما حضرت الصلاة خرج منها، فقال بعض النصارى: صل فيها، قال: لو صليت فيها لأخذها العرب منكم، يقولون: نصلي كما صلى عمر، فيحتلوننا ويأخذونها منكم. لم يمنع عمر من الصلاة فيها إلا خوفه من المسلمين من بعده أن يأخذوا الكنيسة من النصارى غصبا، بحجة أن أمير المؤمنين صلى فيها، وهذا يكفي لتحويلها إلى مسجد¹⁵⁷.

إن ثقافة إلغاء الآخر ورفضه وعدم قبوله كعضو مشارك في المجتمع الإنساني، وذلك بناء على تصنيف عقدي أيديولوجي سيوقع المجتمع أيا كان ذلك المجتمع في الهاوية، هاوية الاضطراب والفوضى والتمزق الداخلي، وتتفاقم المشكلة عندما تفرض الأغلبية عقيدتها ودينها وأيدولوجيتها على الأقلية أو الآخرين أو ربما تفرض الغالبية المتسلطة عقيدتها على المغلوبين، تقول كارين أرمسترونغ: "إن محاولة إكراه الناس على قبول الأيدولوجية المهيمنة ضد إرادتهم يؤدي إلى أفكار وممارسات غير مرجوة أبدا"¹⁵⁸.

¹⁵⁴ سورة البقرة الآية 256.

¹⁵⁵ سورة يونس الآية 99.

¹⁵⁶ رواه أبو داود في سننه باب في تعشير أهل الذمة رقم الحديث 3054، والبيهقي في سننه الكبرى باب لا يأخذ المسلمون من ثمار... رقم الحديث 19201.

¹⁵⁷ شرح بلوغ المرام للشيخ عطية بن محمد سالم نسخة مصورة ص 174.

¹⁵⁸ كارين أرمسترونغ: النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام ترجمة: محمد الجورا (دمشق، دار الكلمة، ط1، 2005م) ص 309. ل ساللا (1995) ص 31.

والتاريخ خير شاهد على هذه الحقيقة، فإن الايدولوجيات التي فرضتها بعض الدول لم تولد إلا الاضطرابات والفوضى، لذا قمنُ بأشياء الديانات أن لا يفكروا في الهيمنة الأيدولوجية على أتباع الديانات الأخرى، بل يجب التفكير في التعددية الدينية والتعايش الديني السلمي، وذلك من أجل مستقبل أفضل للإنسانية جمعاء، يقول اللاهوتي الكاثوليكي كارل راينر: "إنه يتوجب على المسيحيين أن يضعوا بحسبانهم مستقبلاً مسألة الهيمنة الدينية على المجتمع كما كان ذلك في سالف الأزمنة، لأن مجتمع الغد سيكون تعددياً، وستنشط فيه الكنيسة موقعا متواضعا، وسنصبح عندئذ أرضاً صغرى، بل سيتوجب عليها أن تحسب حساب التعددية داخل المسيحية ذاتها"¹⁵⁹.

لقد كانت هذه الفلسفة أعني فلسفة التعايش الديني السلمي في بارزان معروفة في التاريخ قديماً وحديثاً، وعندما تقع بعض المشاكل بين بعض أتباع هذه الديانات، تتبادر الجهود لحلها، كي لا تتفاقم وتتخذ أبعاداً خطيرة، وهذا كان صنيع شيوخ بارزان، ثم إن أغلب الاعتداءات على أتباع الديانات الأخرى وخاصة المسيحيين واليهود يقوم بها بعض الأغوات أضعاف النفوس ممن ينقصهم الوازع الديني، ولا يملكون ثقافة دينية جيدة بحيث تمنع وتزجرهم عن هذه الأفعال الطائشة، يقول ويطرام: "كان صديق -أي الشيخ محمد صديق- في أيامه الأولى قاسياً في اضطهاد المسيحيين، وحادثة فتكه عمداً بأحد الأساقفة- وهو مار كبريل أسقف أورمية- بعد أن دعاه إلى بيته هزت ضمائر الكرد قاطبة"¹⁶⁰. أو قد تكون الأيدي الخارجية وراء بعض المعارك بين المسلمين والمسيحيين كالتى وقعت في عهد الشيخ عبد السلام بسبب طيش بعض ضعاف النفوس، وأخرى وقعت في زمن الشيخ أحمد كانت بريطانيا وراءها، وقد سبق ذكر ذلك كله، بينما لم يثبت في تاريخ بارزان أن شيوخاً أمر بالاعتداء على أي صاحب دين، بل على العكس فقد كانوا حماة لهم من أي اعتداء، وعندما يكون هناك تعايش سلمي بين أتباع الديانات، سيؤثر ذلك في ترسيخ التعايش السلمي بين الأمم والشعوب والقوميات، ولقد صدق عالم اللاهوت الديني الألماني (هانز كونج) Hans Kung عندما قال: "لن يكون هناك سلام بين الأمم، ما لم يكن هناك سلام بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان، ما لم يكن هناك حوار بين الأديان"¹⁶¹.

لقد سلك البارزاني مسلك سابقه من شيوخ بارزان في التركيز على مبدأ الحرية الدينية، وقبول الآخر وعدم رفضه، لأن إرساء هذه الفلسفة في المجتمعات الإنسانية خير وسيلة لحفظها وصيانتها من الاضطراب والفوضى، وخاصة عندما يهددها خطر التعصب الديني والمذهبي والعنصرية القومية، ففي 1948/1/19 في باكو في مؤتمر ممثلي كردستان إيران والعراق ألقى البارزاني كلمة، قال فيها:

¹⁵⁹ أليكس جورافسكي: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ترجمة خلف محمد الجراد (دمشق، دار الفكر، ط2، 1425هـ، 2005م) ص 159.

¹⁶⁰ ويطرام: مهد البشرية ص 137.

¹⁶¹ جورافسكي: الإسلام والمسيحية ص 8.

ينبغي أن نسعى لأجل أن يتحسن حال الشعب الكردي، ويسير نحو حياة مدنية... يجب أن تحظى اللغة والعلم والدين والمعتقدات عدا الفاشية بالحرية¹⁶².

وفي سنة 1974 أجرت جريدة الإطلاعات الإيرانية لقاء مع البارزاني سألته: هل كرد العراق مسلمون؟ فقال البارزاني: الأكثرية مسلمون، وسكرتير الحزب الديمقراطي الكردستاني مسلم شيعي، وهناك آلاف المسيحيين يناضلون معنا ضد حكومة بغداد وبساندوننا، نحن لا نفرق بين السني والشيوعي وغير المسلم، كلهم إخوة، نناضل من أجل هدف واحد، وهو تحقيق العدالة والديمقراطية للعراق¹⁶³.

وعندما زار الصحفي الفرنسي (رينيه موريس) كردستان سنة 1966، توصل إلى قناعة بعد أن اطلع على أحوال المسيحيين، أن المسيحيين في كردستان لا يعانون من أي مشكلة، ولقد شاركوا بجد في الثورات الكردية بقيادة ملا مصطفى البارزاني... ولقد سأل الصحفي المذكور البارزاني عن المسيحيين، فقال له البارزاني: المسيحيون والمسلمون عاهدوا معا بإرادتهم ورغبتهم المشاركة في النضال، من أجل الحقوق المهضومة¹⁶⁴.

ولقد وقف البارزاني بصراحة تجاه المعتدين على المسيحيين، فعندما هاجم محمود آغا الزبياري، - وهو والد زوجة البارزاني - قرى المسيحيين التي كانت تحت حماية البارزاني، مثل قرية (دولا نهلا، كليسا مزن للدومينيكان (مار ياقو) Mar Yacu وأجلوا أهلها، فر من المسيحيين ما يقارب خمسة آلاف إلى الحدود التركية سنة 1961، فغضب البارزاني من هذا التصرف الطائش، وقرر مهاجمة الزبياريين ودحرهم، ثم لجأ الزبياريون إلى الاستعانة بالجيش العراقي¹⁶⁵. وفي سنة 1963 هاجم الجيش قرية بارزان وما جاورها، مما دفع بالمسيحيين إلى الهجرة من قراهم إلى أربيل والموصل وبغداد¹⁶⁶.

كان البارزاني ينظر بعين المساواة إلى مواطنيه، سواء كان كرديا أو تركمانيا، مسلما أو مسيحيا، سنيا أو شيعيا، لكن تركيزه كان أكثر على المسيحيين، لأن بعض زعماء القبائل والعشائر كانوا يحاولون إشعال الفتنة الدينية بين المسلمين والمسيحيين، لذا كان همه أن يشعر المسيحيون دائما أنهم إخوة للمسلمين، أبناء وطن واحد، وأن مصيرهم مرتبط بمصير إخوانهم من أبناء الديانات الأخرى، وخاصة المسلمين، ولا غرابة أن نجد من أبناء الثورة

¹⁶² مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني 946/2.

¹⁶³ وريا جاف: هتنديك ضاوثيكوتن و وتارة كاني بارزاي نتمر (هتولير، ضاثنانتي ووزارة تي تفروردة، 1999) ت 51.

¹⁶⁴ رينية موريس: كوردستان يان نتمان وقرطيران: نعبو بتكر صالح نيسماعيل (دهوك، ضاثنانتي خاني، ض 1، 2008) ت 159.

¹⁶⁵ دانا نادقم شميدت: سفتريك بو ناو ثياوة نازا كاني كوردستان ت ص 147.

¹⁶⁶ شتوكت مة لا نيسماعيل حسةن: روداني لة ميذووي شورشي نليلول ت 183.

من هم مسيحيون أمثال(فرنسو الحريري، هرمز ملك جكو، آدم قيصر، لاوكو)¹⁶⁷.

ونجد أشهر امرأة مسيحية تناضل في سبيل كردستان، وهي (مارطريت جورج)، حيث كانت في عقرة مضمدة، ترأس خلية من خلايا التنظيم السري الكردي، وقد قتلت بيد (معاوية عبد الكريم إسماعيل جولوبك)¹⁶⁸. بل نجد في مجلس قيادة ثورة أيلول القس الكلداني(بولس بيدار) عينه البارزاني ممثلاً عن مسيحي كردستان¹⁶⁹.

وفي خطوة غير مسبوقة طلب البارزاني من حكومة بغداد تعيين (فرنسو الحريري) قائمقاماً لقضاء ضومان، بعد أن أصبحت ناحية جومان قضاء، بعد اتفاقية 11 آذار عام 1970، ولقد رفضت حكومة بغداد طلبه، لكونه مخالفاً للقانون العراقي الذي ينص على عدم السماح للمسيحي تبوأ هذا المنصب، لكن إصرار البارزاني رضح حكومة بغداد، وخرق قانونها، علماً أن فرنسو الحريري كان مسؤولاً عن اللجنة المحلية لبالك، ومعاوناً لقائد قوات بالك¹⁷⁰. وفي قضاء العمادية طلب البارزاني من حكومة بغداد تعيين الملازم المسيحي يوسف بطرس قائمقاماً للقضاء، لأنه كان من أبناء المنطقة، لكن الحكومة لم تلب طلبه¹⁷¹.

وفي إذاعة صوت كردستان تم تحديد فترة معينة للبرامج السريانية والتركمانية، تحقيقاً لمبدأ المساواة والعدالة¹⁷².

وقد كان وكيل وزارة الشمال قبل (11) آذار رجلاً تركمانياً، وبعد الحادي عشر من الاتفاقية، بقي الرجل في منصبه، ولم يغيره البارزاني¹⁷³. مع أن أحداً لا يتبوأ ذلك المنصب في تلك الفترة إلا بعد أن يتصف بصفات تقر عين الحكومة، وتكون حجر عثرة في طريق معارضيتها، أمثال البارزاني وحركته التحررية الثورية، ومع ذلك أبقاه البارزاني في منصبه، وذلك من أجل الحفاظ على الاخوة الوطنية.

وبالرغم من الأزمة المالية التي كانت تعصف بالثورة الكردية في مراحلها وأطوارها المختلفة، فقد عمر البارزاني بعض الكنائس على حسابه الخاص، خذ مثلاً كنيسة (مار أوراها) في هوديان في السبعينيات، وكنيسة (مارطورطيس) في قرية بيدبال في منطقة بارزان¹⁷⁴.

وكان في بعض الأحيان يحدد أماكن مسيحية للقاء الشخصيات المهمة، فعندما وصل الكابتن (ستوكس) ممثل السفارة البريطانية في العراق

¹⁶⁷ مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني 746/2-747.

¹⁶⁸ دانا نادةم شميدت: سقفرىك بو ناو ثياوة نازاكانى كوردستان ث ص92.

¹⁶⁹ مةسعود بارزاني: بارزاني وبزوووتنتهوى رزطاريخوازي كورد 227/3.

¹⁷⁰ مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني 747/2.

¹⁷¹ المرجع السابق 731/2.

¹⁷² مةسعود بارزاني: بارزاني وبزوووتنتهوى رزطاريخوازي كورد 227/3.

¹⁷³ مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني 730/2.

¹⁷⁴ المرجع السابق 1158/2.

بتأريخ 1945/3/25 هوديان، كان البارزاني بانتظاره في بيت (ريحانه شيخو) حيث كان مترجماً، بقي البارزاني في هوديان لثلاثة أيام، وكان الذين يحرسونه من المسيحيين، وهم (زياً منصور، يواروش توما، آدم باويد، خزيران نيسان، شمشون سرکيز)¹⁷⁵.

هذه النظرة العادلة والمتساوية لأبناء الوطن على اختلافهم الديني والمذهبي والقومي نفخت في ثورات البارزاني الكثيرة روح الإخلاص والصدق والأمانة من قبل أبناءها، ولقد عظم الرجل في نفوسهم، فكانوا مستعدين للتضحية بكل شيء من أجل تحقيق ما يصبو إليه البارزاني، لقد كان البارزاني يتألم لأمتة وشعبه ووطنه، عاش عزيزاً كريماً أبياً جريئاً صريحاً، لا يقبل الذل والصغار والهوان، إلى أن فارق الحياة، وجه وزير الثقافة والإعلام عبد الله السامرائي كلمات مهينة إلى الكرد، لما كان المذكور مع الوفد الحكومي المفاوض سنة 1968، فأطبق البارزاني على مقبض خنجره قائلاً: لو لم احترم حصانة وفدكم لقطعت لسانك¹⁷⁶.

توفي ملا مصطفى البارزاني في مستشفى بأمريكا في 1979/3/1، توفي ولم تفر عينه براحة، ولا طمأنينة، ولا استقرار، بل عاش متنقلاً في فسيح كردستان، ثم التنقل في أرض الغربة بين الفينة والأخرى، مات ولكن نضاله وجهاده لم يذهب سدى، فقد أعطى ثماراً يانعة، نجدها الآن في كردستان، وهي حرة عزيزة متطورة، تضارع البلاد المتقدمة من النواحي الحضارية والمدنية والتكنولوجية.

¹⁷⁵ مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني 1158/2-1159. يذكر الكاتب مليل متى هوديانى في بحثه بعنوان (رمز الكفاح الأخوي بين الكرد والآشوريين) - وهو يعتب على الرئيس البارزاني- في كونه ذكر في كتابه: البارزاني والحركة التحررية الكردية، أن الكابتن ستوكس ممثل السفارة البريطانية في العراق التقى بالبارزاني في قرية (شاورا) أي في بيت ملا يوسف الشاوراوي، بدل هوديان، إلا أن معروف جياووك يؤكد أن اللقاء تم في قرية هوديان. انظر: مةعروف ضياووك : كارساتى (بارزان) ى زولمليكر او، وقرطيران: ئقبو بةكر سالح ئيسماعيل (دهوك، ضائخانةى خانى، ض1، 2008) ث 182.

¹⁷⁶ البارزاني وشهادة التاريخ ص116.

الخاتمة

لقد تناول الباحثون قديما وحديثا الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأمة الكردية، وعندما يتعلق الحديث بالجانب الديني لا نجد ذلك الحماس والاهتمام والأهمية، بل نجد إشارات وعبارات قصيرة، أو حديثا مقتضبا، بل ربما نجد في بعض الأحيان حديثا لا بأس به، ولكن بصورة عكسية، أي أنه ينقد الحالة ويصفها وصفا سيئا، ولقد كان المستشرقون أحسن حالا منهم، أمثال باسيل نيكيتين ومارتن فان برونسن وغيرهم كثير، حيث أبرزوا هذا الجانب في الحياة الكردية، وركزوا عليه في مؤلفاتهم.

إن الحياة الدينية في كردستان ثروة علمية ثرة، ومادة يمكن دراستها بتفصيل، ولقد حاولت بقدر استطاعتي تناول الحياة الدينية من نهري إلى بارزان، وتناولت بعض الشيء الحياة الدينية لدى اليهود والمسيحيين في بهدينان، وخاصة في بارزان.

لقد تبين لنا من خلال هذا البحث أن نهري كانت مركزا علميا مهما في شمدينان، وخاصة أنها كانت مركز الطريقة القادرية للسادات النهرية قبل تحولها إلى الطريقة النقشبندية على يد السيد عبد الله النهري شيخ مولانا خالد النقشبندي، لقد تخرج من نهري الشيخ عبد الرحمن البارزاني، وتلقى الطريقة النقشبندية هناك على يد السيد طه النهري، ثم عينه خليفة له في بارزان لمقارعة ظلم أغوات الزيباريين.

لقد قدم مشايخ نهري تضحيات كثيرة، في سبيل تحرير الكرد واستقلال كردستان، وعلى رأسهم الشيخ عبيد الله النهري، الذي قاد أعظم ثورة كردية، وكذلك ابنه الشيخ عبد القادر الذي ضحى بنفسه في سبيل الأمة الكردية، لقد أحيوا وأذكوا الشعور الوطني والحس القومي لأبناء كردستان ضد ظلم واستبداد الفرس والعثمانيين.

أما بارزان فكانت مركز العلوم والمعارف لاتباع الديانات الثلاث، فقد أنجبت القرية أعلاما مسلمين، وحاخامات وأحبار، ورهبانا وقسسا، يعيشون معا في سلام وأمان ووثام، كل في معبده، وعلى دينه.

عانت بارزان كثيرا في تاريخها، فمن الصراع بين المشيخة البارزانية وأغوات الزيباريين، إلى الصراع بين المشيخة البارزانية وشقيقاتها (نهري، لولان، بجيل، بارمني)، ومن ثم تحولها إلى الصراع مع الحكومات المتعاقبة، وبالرغم من ذلك فقد شهدت بارزان تطورا ملموسا في الحياة الدينية، وخاصة في تثبيت دعائم الطريقة النقشبندية، وتوحيد العشائر السبع (دولمري، شيرواني، مزوري، نزاري، بروذي، طقردي، هركي بنهجي) على مفهوم (الملة البارزانية).

فكما أن نهري أنجبت الشيخ عبيد الله النهري، فقد أنجبت بارزان ملا مصطفى البارزاني، هذا الرجل الذي لم يلق راحة في حياته، ولا استقراراً في مسيرته، ومع ذلك لم ييأس ولم يقنط في نضاله وجهاده، في سبيل تحرير الأمة الكردية، ولقد وضع البارزاني قواعد وأسساً للتعامل مع الحالة الدينية في كردستان، وخاصة مسألة التعايش السلمي بين الأديان المختلفة والمذاهب المتعددة والقوميات المتباينة، وبهذا بقيت بارزان آمنة ومعافى وسليمة من آفات التطرف الديني والغلو المذهبي والتعصب القومي.

قصيدة الشيخ عبد السلام البارزاني الدينية

ترجمة وشرح وتعليق د. عرفات كرم ستوني

قصيدة الشيخ عبد السلام البارزاني الدينية
دفعني إلى ترجمة هذه القصيدة أمران، أحدهما أن هذه القصيدة قام
بنشرها وترجمتها إلى اللغة العربية أحد الكتاب¹⁷⁷، ولكنني أرى أن هذه
الترجمة غير كافية لأمر:

(1) إن القصيدة في نسختها الكردية مليئة بالأخطاء، وهي بلا ريب
أخطاء مطبعية تخل بالمعنى، ثم إن ثمة خلطاً بين الأبيات عند الترجمة،
فقد تجد بيتاً مترجماً لبيت آخر لا صلة بينهما، وهذا سيوقع القارئ في
مشكلة في فهم مضمون القصيدة.

(2) إن هذه القصيدة دينية بحتة، تناولت موضوعات شرعية،
ومسائل عقديّة، والكاتب غير مختص في العلوم الإسلامية، لذا أحياناً
نجده يستعمل مصطلحات غير متناغمة في ترجمة بعض الكلمات
والمصطلحات، وخاصة تلك التي وردت في القرآن الكريم والسنة
النبوية، وعندما لا تكون تلك المصطلحات مناسبة للمصطلحات الدينية، لا

¹⁷⁷ نى رقتش : بارزان ص 171.

يشعر القاريء بلذة المعنى الديني، ولا يدرك أنها قصيدة دينية شرعية. وأعترف باستفادتي من ترجمة الكاتب في فهم مقاصد الشيخ في بعض الأبيات، حيث إن الكاتب بذل جهداً جيداً.

(3) إن ترجمة الكاتب كادت تكون حرفية، حيث نجد الكلمات العربية بقدر الكلمات الكردية في أكثر المواضع، وهذا بكل تأكيد لا يعطي المعنى المقصود للأبيات، فهو أشبه بترجمة المبنى لا شرح المعنى.

(4) نشر الكاتب هذه القصيدة في الثمانينات، ويبدو أن كتابه لم يطبع مرة ثانية، فالنسخة رديئة جداً، والأبيات في نسخة الأم غير واضحة.

الأمر الثاني الذي دفعني لترجمة هذه القصيدة، أن أخي الأستاذ ملا أيوب قد قام بنشر القصيدة في كتابه¹⁷⁸، من غير شرح ولا تعليق، وهي نسخة واضحة يمكن التعويل عليها في ضبط وتصحيح القصيدة في لغتها الأم.

تتكون هذه القصيدة من خمسة وتسعين بيتاً، وهي قصيدة مفيدة تتناول مختلف المسائل الدينية العقديّة، وهي أشبه بتعريف عام بعقائد الإسلام العامة، كتبها للناشئة والمتعلمين ليسهل عليهم تعلمها وفهمها وحفظها، كدأب العلماء السابقين، ونلاحظ من هذه القصيدة اطلاع الشيخ الواسع على المسائل الخلافية العقديّة، ولا ريب أن القصيدة باعتراف ناظمها لا ترقى إلى مستوى القصائد المعروفة وزناً وقافية، فالهدف من كتابتها الفائدة، وليس الإبداع في المجال الشعري، والذي يهمننا أن القصيدة تراث كردي ديني نادر يرتد لمنطقة مهمة في تاريخ الكرد وكردستان، ألا وهي بارزان، منطلق الثورات والانتفاضات، ومركز العلوم والمعارف لمختلف الأديان، ومدرسة الأبطال من النيشميرطة.

نص القصيدة

طوه بدّةنة بهحسىّ خوَش
طغلى كغسىّ صاحب طوَش
خودى نغكغتن فقراموَش

المعنى:

استمعوا إلى الحديث الطيب والشيق، يا من تسمعونني بأذنكم، إياكم أن تنسوا ربكم، وتهملوا أوامره ونواهيّه. قال تعالى { الْمُتَّقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

¹⁷⁸ ملا ئيويوب: ئيداىوننةظتك ل ميذوويا بارزان (1820-1914) (هولير، ضاڤاخانا حاجى هاشم، ض1، 2007) ت 31.

هُمُ الْفَاسِقُونَ} ¹⁷⁹ . وقال تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ} ¹⁸⁰ .

نَظَطَّرَ جَوَانَ نَظَطَّرَ ثِيرَ
كَتَسَى خَوْدَى بَكَتَ ذَبِيرَ
قِيَامَتَى دَى بَيْتِ ضَرِيرَ

المعنى:

سواء كنتم شبابا أو شيوخا عجائز فلا تنسوا ربكم، لأن من ينسى ربه سيصبح
يوم القيامة أعمى، لا يرى شيئا، ويشير الشيخ إلى قوله تعالى {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ
أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا} ¹⁸¹ وقوله تعالى {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي
فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ
بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} ¹⁸² .

كَتَسَى خَوْدَى نَقَنَاسِي
رُونَ نَابِي قَلْبِي قَاسِي
حَاصِل نَابِي خَلَاصِي

المعنى:

الذي لا يعرف ربه، ولا يؤمن به، لن ينور الله قلبه القاسي بالإيمان، ولن ينجو
من عذاب الله ومقته وغضبه.

خَالِقُ نَيْكَةِ بِي هَظَالَةِ
نَةَ مَانِنْدَةَ نَةَ مِيثَالَةِ
نَةَ مَرْدَنَةَ نَقْرَةَ وَالَةِ

المعنى :

إن الخالق الذي خلق كل شيء، واحد لا شريك له، ولا ند له، وليس له
مثيل أو شبيه، حي لا يموت، ولا يزول ولا يفنى فهو الآخر وليس بعده شيء. قال
تعالى {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ¹⁸³ . وفي دعاءه
(صلى الله عليه وسلم) عند النوم: "اللهم رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم،
ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، فالق الحب والنوى، لا إله الا
أنت، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول ليس قبلك شيء، وأنت
الآخر ليس بعدك شيء، وأنت الظاهر ليس فوقك شيء، وأنت الباطن ليس دونك
شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر" ¹⁸⁴ .

¹⁷⁹ سورة التوبة الآية 67.

¹⁸⁰ سورة الحشر الآية 19.

¹⁸¹ سورة الإسراء الآية 72.

¹⁸² سورة طه الآية 124-126.

¹⁸³ سورة الحديد الآية 3.

¹⁸⁴ رواه أحمد بن حنبل في مسنده من حديث أبي هريرة رقم الحديث 9236.

نعماندة نة نظيره
نة شقرىكة نة مشيرة
نة معينة نة نصيرة

المعنى:

الله سبحانه وتعالى لا مثيل له ولا نظير، لا شريك له وليس بحاجة إلى أحد، لا معين له ولا نصير. قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ¹⁸⁵. وقال تعالى {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} ¹⁸⁶.

يا رب تو زورى بلندى
بى ميثال وبى مانندى
بو تةنينة ضون ضةندى

المعنى:

يارب أنت العلي الأعلى، فليس فوقك شيء، لا مثيل لك ولا نظير، أنت منزه عن الكيفية والكمية. وقد وردت صفة العلو لله تعالى في آيات عديدة ¹⁸⁷. وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للجارية "أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة" ¹⁸⁸. وهذه المسألة قد فصل القول فيها الإمام الذهبي في كتابه العلو للعلي الغفار ¹⁸⁹.

نظى ضونى تيت خقبقر
نؤو نة جسمة نة جقوهقر
نة عقرضه نة بةشقر

المعنى:

من ناحية الكيفية، الله سبحانه ليس بعرض ولا جسم، ولا جوهر، وليس كالبشر. قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ¹⁹⁰.

نؤو خالقفة ب تنى
منقرة هة ذمردنى
هقم ذ خقوى وخارنى

¹⁸⁵ سورة الشورى الآية 11.

¹⁸⁶ سورة الإخلاص كاملة.

¹⁸⁷ سورة البقرة الآية 255، سورة الحج الآية 62، سورة لقمان الآية 30، سورة سبأ الآية 23، سورة غافر الآية 12، سورة الشورى الآية 4.

¹⁸⁸ رواه مسلم في صحيحه من حديث معاوية بن الحكم السلمي، باب تحريم الكلام في الصلاة رقم الحديث 1227.

¹⁸⁹ أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي: العلو للعلي الغفار، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود (الرياض، مكتبة أضواء السلف، ط1، 1995).

¹⁹⁰ سورة الشورى الآية 11.

المعنى:

الله هو الخالق وحده، منزه عن الموت، فهو حي لا يموت، ومنزه عن النوم والأكل، ويشير الشيخ إلى قوله تعالى {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} ¹⁹¹.

بومة عبودى ذو الجلال
رقوا نينة اتصال وانفصال
دطل عالمةما شبيهي ظلال

المعنى:

الله هو المعبود ذو الجلال، يتجلى عن الاتصال والانفصال عن عالم شبيهه بالظلال، فهو سبحانه ليس كمثل شيء، ولا يشبه شيئاً.

رعبة تو فتردى وعحيد
نيك لحظة نابيت به عييد
نقربة ترى ل حبل الوريد.

المعنى:

ربي أنت الواحد الأحد، وأنت أقرب إلى أحدنا من حبل الوريد، فلست بعيدا عنا، بل أنت معنا بعلمك وسمعك وبصرك. ويشير الشيخ إلى قوله تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتِسُونَ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} ¹⁹². قال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} ¹⁹³. وقال (صلى الله عليه وسلم): "أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم، ولا غائبا، إنكم تدعون سميعة قريبا، وهو معكم" ¹⁹⁴.

رعبة تو شاهي ممتين
نيجاد كر ذ ناظا موهيين
ضند صورة تيت متزهتر شرين

المعنى:

ربي أنت الملك القوي المتين، خلقتنا من ماء مهين، وخلقت مخلوقات ذات جمال وحسن. ويشير الشيخ إلى قوله تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} ¹⁹⁵. وقوله تعالى: {الْمَنْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} ¹⁹⁶. وقال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ

¹⁹¹ سورة البقرة الآية 255.

¹⁹² سورة ق الآية 16.

¹⁹³ سورة البقرة الآية 186.

¹⁹⁴ رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث 2992، ورواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى باب استحباب خفض الصوت بالذكر رقم الحديث 7037.

¹⁹⁵ سورة السجدة الآية 7-8.

¹⁹⁶ سورة المرسلات الآية 20.

جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارِ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَاقَةً فَخَلَقْنَا الْعَاقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ¹⁹⁷. وقال تعالى { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }¹⁹⁸. وقال تعالى على لسان النبي إلياس عليه السلام { أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ }¹⁹⁹.

خودى هنة حفت سيات
قديمن نغو وةكى زات
نك عيلمة يادى حيات

المعنى:

إن لله سبع صفات²⁰⁰، وهي قديمة أزلية كذاته المقدسة، أولى هذه الصفات صفة العلم، ثم تليها صفة الحياة.

نك قودرثة يا دى بيستن
نك نيرادية يادى ديتن
سابعى وان ناخافتن

المعنى:

ومن صفاته السبع صفة القدرة والسمع، والإرادة والبصر، وآخرها الكلام. تسمى هذه الصفات بالصفات العقلية الوجودية المعنوية، لكونها تدرك بالعقل لا بالخبر والسمع والنقل، ولا يعني أن صفاته جل وعلا تقتصر على هذه السبع فقط، فثمة الصفات الخبرية النقلية التي وردت في القرآن والسنة، ولا مجال لذكرها والحديث عنها.

كةلامى وى دورة ذ حترف ودةنطا
زاتى وى منقرهه ذ تسليسا فرةنطا²⁰¹
مقدسة ذ هدى نعلوان ورةنطا

المعنى:

كلامه سبحانه ليس بصوت ولا حرف²⁰²، وذاته المقدسة بعيدة عن تثليث النصارى، ومنزهة عن جميع الأوصاف والألوان.

¹⁹⁷ سورة المؤمنون الآية 12-14.

¹⁹⁸ سورة التين الآية 4.

¹⁹⁹ سورة الصافات الآية 125.

²⁰⁰ ما ذكره الشيخ هنا هو ما ذهب إليه المدرسة الأشعرية، أما المدرسة الماتريدية فتزيد على هذه الصفات السبع صفة (التكوين).

²⁰¹ هذا المصطلح (الإفرنج) كان يستعمله علماء الإسلام للمسيحيين، وخاصة في العصور الغابرة، وللضرورة الشعرية استعمله الشيخ، ويقصد بذلك المسيحيين الذي يؤمنون بعقيدة التثليث.

²⁰² إن الشيخ يذكر هذه المسألة المتفق عليها في المذهب الأشعري، وإلا فإن المدارس الأخرى تثبت لكلام الله تعالى الصوت والحرف، وقد فصل الإمام السجزي هذه المسألة تفصيلاً وأوضحها بكل وضوح وجلاء في رسالته المعروفة، أنظر: السجزي، أبو نصر عبيد الله (ت444هـ): رسالة

ذ هندی جو ملقی مومکیناتان
ذ جواهر و ذراتان
تیکدا مقرر بو صفاتان

المعنى:

إن جميع الممكنات، من الجواهر والذرات، جميعها مظاهر لصفاته سبحانه وتعالى، ففي كل شيء له دلالة وآية على وجوده وصفاته العلية.
طوت يا هتموو جسمةكن تو جاني
طوت يا هتموو دارةكن تو باني
طوت يا هتموو شهرةكن تو خاني

المعنى:

يشير الشيخ إلى عظمة الله، فلو كان جميع الوجود جسما واحدا فأنت الروح، فلو لاك لما كان ثمة شيء، ولو كانوا جميعا بيتا واحدا لكان أنت الباني والصانع والخالق، ولو كانوا جميعا مدينة، لكنت أنت صاحبهم ومالكهم ومليكمهم.

بارى بو كئززا مستور
بطون طيرا ب ظهور
إظهار كر عالمةما مستور

المعنى:

كان الله الباري كنزا مخفيا، فأظهر الله نفسه العلية لعباده لكي يعرفوه حق معرفته، ويؤمنوا به، ثم أظهر الله هذا العالم الخفي، وخلق كل شيء بقدرته العلية. وما ذكره الشيخ ورد في بعض الآثار، ونصه: كنت كنزا مخفيا لأعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقا وتعرفت إليهم فبي عرفوني²⁰³. والمعنى يكون سليما صحيحا مستقيما إن قصدنا بذلك أن الله كان كنزا مخفيا مستورا، فلما خلق الخلق، وأوجده من العدم، تعرفوا على الكنز - وهو الله - بواسطة أنبياءه ورسله، ولا جرم أن معرفة الله والإيمان به من أعظم الكنوز طرا، فلا يضاهيه كنز، ولا يساويه شيء في الوجود.

إظهار كر ذ بطونى
ما بتينا كافى ونونى
عالمةم ئينا ية بوونى

المعنى:

السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت تحقيق محمد باكريم عبد الله (السعودية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط1413، 1هـ).

²⁰³ إلا أن الحديث لا يصح، قال ابن تيمية الحراني: ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعرف له سند صحيح، ولا ضعيف، وتبعه الزركشي وابن حجر، ولكن معناه صحيح ظاهر، وهو بين الصوفية دائر. انظر: محمد بن خليل بن إبراهيم المشيشي الطرابلسي: اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع، تحقيق: فواز أحمد زمرلي (بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1415هـ) ص143.

أظهر الله من المخفي المستور كل شيء من بين الكاف والنون، وقد أوجد العالم كله، وأظهره على الوجود، والمقصود بالكاف والنون (كن فيكون)، فالله إذا أراد أن يخلق شيئاً، أو يفعل شيئاً، فهو هين سهل علي، لا يصعب عليه شيء، لأنه القادر على كل شيء، قال تعالى {بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} 204 . وقوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} 205 . وقوله تعالى { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} 206 . وقوله تعالى { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } 207 . وقوله تعالى { هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} 208 .

ايجاد كرب وى طرزي
ذ بوزا كقنزي
نقو دزانيت حكمتا رةمزي

المعنى:

أوجد الوجود بهذا الشكل والطرز والصورة، من أجل إظهار الكنز المخفي، وهو الله جل جلاله، والله وحده يعلم حكمة هذا السر واللغز في خلقه.

نأدقم نينا وجودي
فقرمان كرة مقلتكيت شهودي
بو نأدقمي هقرنة سجودي

المعنى:

خلق الله آدم عليه السلام، وأمر الملائكة كلهم بالسجود له، ويشير إلى قوله تعالى {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 209 .

نقوان بهيست نقو ختبر
كتس ذ نقرى نة ضو دقر
نقلا نبليسي بسعد نظر

المعنى:

لما سمع الملائكة أمر ربهم بالسجود لآدم عليه السلام، امتثلوا لأمره، فسجد الجميع إلا الشيطان فإنه أبى أن يسجد له، مدعياً أنه أفضل من آدم، لأنه خلق من نار،

204 سورة البقرة الآية 117.

205 سورة الأنعام الآية 73.

206 سورة النحل الآية 40.

207 سورة يس الآية 82-83.

208 سورة غافر الآية 68.

209 سورة ص الآية 71-72.

وَأَدَمَ مِنْ طِينٍ، وَهَذِهِ وَجْهَةٌ نَظَرُ ضَعِيفَةٌ. وَيُشِيرُ الشَّيْخُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى {فَسَجَدَ
الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} ²¹⁰.

فقرمان كر شاهي وودود
دطل نيبليسي مودود
تة بوضي نوبر سجود

المعنى:

سأل الملك الودود، وهو الله سبحانه، - وهو أعلم بكل شيء - إبليس اللعين، لم لم
تسجد لآدم عليه السلام كبقية الملائكة؟ ويشير إلى قوله تعالى { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ
أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ } ²¹¹.

حوجت نينا لة عيني
نقر ضيترم بية قيني
نقر ل ناريمة ونقول طيني

المعنى: لما سأل الرب تبارك وتعالى إبليس اللعين - وهو أعلم بذلك - عن
سبب رفضه السجود لآدم عليه السلام، فاحتج إبليس أنه يقينا أفضل من آدم عليه
السلام، لكونه خلق من نار، وخلق آدم من طين. ويشير إلى قوله تعالى { قَالَ أَنَا خَيْرٌ
مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } ²¹².

نقو دككت قيل وقالوا
فايدة نقدا دقليا
نقو طقريا بوو ذقليا

المعنى:

أكثر الشيطان من القيل والقال، ولم تكن حججه دامغة وذات فائدة، فخاب
وخسر، وجر ذيل الذل والخيبة والهوان والصغار.

نيبليس كةفتة ذله تي
كر دو عايا موهله تي
هتتا رودا قيامتي

المعنى:

صار إبليس ذليلا برفضه السجود لآدم عليه السلام، فطرده الله من رحمته،
وقد آيس وقنط من رحمة الله، فدعا إبليس الله أن ينظره ويتركه حيا إلى يوم القيامة.
ويشير إلى قوله تعالى { قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } ²¹³.

خودي نقو نةكر مةحروم

²¹⁰ سورة ص الآية 73-74.

²¹¹ سورة ص الآية 75.

²¹² سورة ص الآية 76.

²¹³ سورة ص الآية 79.

طوت منتظرة يا ظلوم
هتتا روذا وختى مةعلوم

المعنى:

استجاب الله دعاءه، فلم يجرمه من هذا الدعاء والطلب، فجعله من الذين يعيشون إلى يوم القيامة، وهو الوقت المعلوم. ويشير إلى قوله تعالى { قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ }²¹⁴.

حال كو طقريا سقرنطون
ظاهر بوو سرا مةكنون
هتر كافر بوو تئو مةلعون

المعنى:

وبعد تقلب الأحوال وتغير الأطوار اتضح سر دعاء إبليس اللعين، حيث بدأ إبليس اللعين بكفره، وهو تضليل الناس، زيادة على كفره السابق. مةلعون مجد بوو ل كاري
سووند خار ب عزة تباري
تئر دى ئينسانا كي شمة نارى

المعنى:

أصبح إبليس مجدا في عمله وهو تضليل الخلق، لأنه حلف بعزة الباري، أنه سغوي الإنسان ويجره إلى جهنم، ويشير إلى قوله تعالى { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوْبِيَهُمْ أَجْمَعِينَ }²¹⁵.

دى وان كي شمة غـ قريقى
دى روونمة سقر طه ريقى
هتمة رةنطا وان بةمة حقريقى

المعنى:

سأجرهم إلى الغريق، ولعله يقصد حب الدنيا وملذاتها ومفاتها وشهواتها ونزواتها، وسأقعد لهم بكل طريق، وسأحاول تضليلهم من أجل أن يلجوا الحريق والنار، ويشير إلى قوله تعالى { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }²¹⁶. وقال تعالى { وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ }²¹⁷. وقال تعالى { كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ }²¹⁸.

²¹⁴ سورة ص الآية 80-81.

²¹⁵ سورة ص الآية 82.

²¹⁶ سورة الأعراف الآية 16-17.

²¹⁷ سورة الأنفال الآية 50.

²¹⁸ سورة الحج الآية 22.

خطاب كر رةبى عزةتى
دطل مستةحقى لة عنةتى
نؤز دى ل وان كةم رةحمةتى

المعنى:

خاطب رب العزة إبليس اللعين، الذي استحق من الله اللعنة والغضب، أنني سأرحم عبادي الصالحين، ولن يكون لك سلطان وغلبة على المخلصين من عبادي، لذلك دخلوا في رحمة الله بخلاف إبليس وأتباعه فقد طردوا من رحمة الله، وقد اعترف إبليس أنه لا يقدر على تضليل المخلصين، ويشير إلى قوله تعالى { قَالَ فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ }²¹⁹.

نؤطقر بكةن ذيله تى
هندي بكةن تةوبةتى
نؤز لى كةم مةغفيرةتى

المعنى:

لو ارتكب العبد المعاصي والكبائر والموبقات، ثم تاب إلى الله متاباً، وعاد إليه عودة حميدة مخلصاً، فإن الله سيتوب عليه، ويغفر له ما اقترفه، قال تعالى { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ }²²⁰. وقال تعالى { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }²²¹. وقال (صلى الله عليه وسلم): " الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له"²²².

هقر كةسى كو سةركةش بيت
شوبهى تة دى روو رةش بيت
حقةى وى دى نائةش بيت

المعنى:

من تمادى في الضلال والعصيان، سيكون مسود الوجه كإبليس، وسيكون مصيره نار جهنم خالداً فيها. قال تعالى { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ }²²³(106).

نؤو مةلعونى بةدفةعال
بى نؤةدبى بى خيصال

²¹⁹ سورة ص الآية 82-83.

²²⁰ آل عمران الآية 135.

²²¹ سورة الزمر الآية 53.

²²² صحيح الجامع الصغير رقم الحديث 11749.

²²³ سورة آل عمران الآية 106.

ضَعْنَد دَرِيذْ كَر نَعُو مَقَال

المعنى:

هذا اللعين ذو الأفعال الشنيعة، لا أدب له ولا خلق، أطال الكلام مع ربه في حوارهِ، لما امتنع عن السجود لأدم عليه السلام.

دَرِيذْ كَر دَطَقْل شَاهِي مَعْجِيد
نَعُو نُيْبَلِيْسِي وَوَقِيِي مَقْرِيْد
ذ سَقْر رِيْكَان مَائِ وَوَحْيِيد

المعنى:

أطال اللعين مع الملك المجيد حوارهِ وكلامهِ، ذلك الإبلِيس المريد الطريد العنيد، ووقف على طريق الضلال وحده، مخالفاً جميع الملائكة المطهرين.

ب سَتَبِيِي وَوَحْيِيدَتِي
بُوُوِيَة مَسْتَعْحَقِيِي لَعْنَتِي
نَعُو طَقْرِيَا بُوُو سَقْر مَعْصِيِيَتِي

المعنى:

ولكون إبليس تفرد وشد عن جماعة الملائكة، وعصى ربه، فاستحق اللعنة من الله، لأنه أصر على معصيته وتمرده.

نُبَلِيْس كُو نَقْبُوُو قَانَع
ذ نَعْمَرِيِي خُوْدِيِي بُوُو مَانَع
لَعْنَت لِي كَر شَاهِي صَانَع

المعنى:

لما أمر الله الملائكة بالسجود لأدم عليه السلام، لم يقتنع إبليس بذلك، لكونه في زعمه أفضل من أن يسجد لما خلق طيناً، فامتنع عن طاعة ربه، فطرده الله من رحمته، وبقي لعينا، وسيبقى كذلك إلى يوم القيامة، قال تعالى {قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} ²²⁴.

نَعُو بُوُو ب مَتْنَعَا عَعْجُوْل
فَقْرَمَان نَعُو نَعُو قَعْبُوُوْل
ذ مَقْرَتَبِيِي طَقْرِيَا عَزُوْل

المعنى:

لقد كان امتناع إبليس عن السجود قراراً عجولاً، حيث لم يأنظر بأمر ربه، فأخرجه الله من مرتبته العلية إلى المرتبة السفلية، ولقد كان إبليس في مرتبة الملائكة، بل كان ملكاً، لكنه خلق من نار، فلما عصى ربه، نزلت منه مرتبته، وصار أعزل لا مرتبة له، ولا قيمة. قال ابن عباس: "وكان اسمه عزازيل، وكان من

²²⁴ سورة ص الآية 77-78.

أشراف الملائكة، وكان من ذوي الأجنحة الأربعة ثم أبلس بعد²²⁵. وعن ابن عباس أنه قال: " كان من أشد الملائكة اجتهادا، وأكثرهم علما، فلذلك هو الذي دعاه إلى الكبر"²²⁶.

شأيتان كو نقبر سجود
فقرمان كر شاهي وودود
خارج ببة يا مقردود

المعنى:

لما رفض الشيطان السجود لآدم عليه السلام، أمر الملك الودود، بطرد هذا المرید من رحمته، إلى غضبه ومقته ولعائه.

خارج ببة ل الجنة تي
يان ذ عسمان يان رة فعتي
نظ رة نطة مة رجة عا ئية تي

المعنى:

أمر الله بطرد الشيطان من الجنة، أو من ملكوت السماء، أو نزع منه منزلة ومرتبة الرفعة، وهذا هو المقصود من الآية الواردة في ذلك، قال تعالى { قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَأَنَّكَ رَجِيمٌ }²²⁷. يبدو أن الشيخ متردد في موضوعه المكان الذي طرد منه الشيطان، ويحق له ذلك، فقد ذكر القرطبي الاختلاف في المقصود بقوله تعالى (فاخرج منها)، وذكر ثلاثة آراء، وهي فاخرج من السموات، أو من جنة عدن، أو من جملة الملائكة.²²⁸

لازمة ل سقر عقبيدا
قبول بكن نة مري سقييدا
دا نة ين ذ زومرة يا مقريدا

المعنى:

على العبيد أن يكونوا مطيعين لسيدهم، وإلا غدوا من زمة المارقين والعصاة والمردة.

نقر لكو دكتم وي قصه تي
هقر كة سي طوه ب دة تي

²²⁵ أبو عبد الله محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سمير البخاري (الرياض، دار عالم الكتب، 1423 هـ، 2003 م) 294/1.

²²⁶ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن (دم. دار هجر، ط1، دبت)

286/15.

²²⁷ سورة الحجر الآية 34.

²²⁸ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 12/4.

بخَوْ بطريت عبيرة تسي

المعنى:

إن الغاية من ذكر هذه القصة وهذا الحديث لكل من يستمع إليها، أن يتعظ ويعتبر.

نفسا نمةارة بالسوء
هندي موهلت بدتن ل دوو
تقوية ناكنت زووب زوو

المعنى:

إن النفس الأمانة بالسوء، لا تتوب ولا تعود إلى ربها، ولو أعطيت المهلة الكافية.

زووية رابة ذطي نغومي
ذ نفسا خو بكة لغومي
ذ خالقي بكة شغرمي

المعنى:

سارع، وقم من غفلك، حيث شبه الغفلة بالنوم، لأن الإنسان حينما يكون نائما لا يدري ولا يعرف ما الذي يجري عنده وحوله، ولا تلم إلا نفسك، فهي سبب غفلك، واستحي من الله حق الحياء. قال (صلى الله عليه وسلم): "استحيوا من الله حق الحياء، قال: قلنا يا رسول الله إنا نستحي، والحمد لله، قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء"²²⁹. وقال (صلى الله عليه وسلم): "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح، فاصنع ما شئت"²³⁰.

ذ خالقي ب تني
ب ترسة ذ مرني
تترك بكة ظي دني

المعنى:

البيت الأول مكمل للأبيات السابقة، استحي من الله وحده، كن وجلا وخائفا من الموت، اترك هذه الدنيا واهجرها²³¹.

²²⁹ رواه الترمذي من حديث ابن مسعود باب استحيوا من الله حق الحياء، رقم الحديث 2458، وأحمد في مسنده من حديث ابن مسعود، رقم الحديث 3671.

²³⁰ رواه البخاري من حديث أبي مسعود، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث 3484.

²³¹ المقصود بترك الدنيا واهجرها، عدم التلطف وراءها، بحيث تأخذ هذه الدنيا بأهداب قلب الإنسان، أي يقع حبها في القلب، فلو بقيت الدنيا في يد الإنسان، وأصبحت وسيلة لا غاية، فلا ضير في ذلك، فحب الدنيا ليس مذموما، وإنما يذم عندما تكون الدنيا سيد الإنسان، قال تعالى {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

تترك بكفة دونيائي
بترسة ذليقيائي
بقرى حوادة فقنايي

المعنى:

أهجر هذه الدنيا، واخش لقاء ربك، وواجه الموت والفناء، فإن الإنسان مهما طال عمره فهو إلى الزوال والفناء.

تو بفس ببة مة غرورة
سة فتراة زورا دوورة
مئنزلا تة قةبرى كوورة

المعنى:

لا تكن مغرورا ولا بطرا، فإن سفرك طويل جدا، وإن منزلك قبر عميق.

مئنزلا تة قةبرى تةنطة
تو بزانة ثغو ض رةنطة
بيى بى هتوار وبى دةنطة

المعنى:

منزلك قبر ضيق، لا تدري كيف سيكون ذلك القبر، فالقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، والقبر منزل لا استعانة ولا نداء ولا دعاء فيه، لأنه لا يسمعك أحد. قال تعالى {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} ²³².

بيى دةنط وبى هتوارة
ضار كنار لى ديوارة
تةذى دووشك و مارة

المعنى:

منزل لا يسمع فيه شيء، حيث هو عالم آخر لا أحد يعرف كنهه وحقيقته، منزل أو حفرة ذات أربعة جدران، مليئة بالعقارب والثعابين والحيات.

خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، وقال تعالى {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}، ولو كان حب الدنيا مذموما، لما قال (صلى الله عليه وسلم): "حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قررة عيني في الصلاة، وبهذا لا يصح حديث (حب الدنيا رأس كل خطيئة). وصدق ابن عقيل الحنبلي عندما قال: "من قال إني لا أحب الدنيا فهو كذاب، فإن ثبت صدقه فهو مجنون". ولضيق المجال لا أستطيع التطرق أكثر إلى هذه المسألة.

²³² سورة المؤمنون الآية 99-100.

طــــــــــــا ظــــــــــــا تــــــــــــمــــــــــــام ظــــــــــــمــــــــــــار ي
د ي ه ي تــــــــــــة س ق ر ي تــــــــــــة ه ش ي ا ر ي
د ي ن ا ز ل ب ن ق ا ص د ي ت ب ا ر ي

المعنى:

وعندما يدفن الإنسان، ويوارى الثرى عليه، يعود إليه رشده ووعيه، ويأتيه الملائكة، وهم رسل الله، فيقولون له: إنك قد فارت الدنيا وارتحلت عنها، وأنت الآن في عالم آخر وهو عالم البرزخ.

ط ا ظــــــــــــا ت ي نــــــــــــة ش ه و د ي
د ي تــــــــــــة ر ا ك ت ن ح ا ل ي قــــــــــــع و د ي
س و ا ل د ك ت ن ذ تــــــــــــة م قــــــــــــص و د ي

المعنى:

وعندما يأتيه الملكان، فيقعدانه، لكي يجيب على أسئلة الملكين، فيسألانه الأسئلة المعروفة.

ض م قــــــــــــص و د ي ث ق و د ي قــــــــــــص د ك ت ن
س و ا ل ا خــــــــــــال ق ي ثــــــــــــق ح د ك ت ن
ه ت م ث ر س ا ن ب ي ي (ثــــــــــــق م ت د) ك ت ن

المعنى:

ما الذي يسألانه العبد في قبره، إنهما يسألانه عن الخالق، ويسألانه عن النبي أحمد (صلى الله عليه وسلم)²³³.

ثــــــــــــط ط ر ج ت و ا ب ن ق ي ب ت س ت د ي د ة
طــــــــــــو ر ز ا و ا ن ب ي م ح د ي د ة
قــــــــــــا ل ب د ك ت ت قــــــــــــد ي د ة

المعنى:

وإذا لم يكن جواب العبد للملكين سديدا، فإن الملكين سيضربانه بمرزبة من حديد، لا يمكن تصور حاله بعد ذلك.

طــــــــــــو ر ز ا و ا ن ب ي م ك و بــــــــــــار ة

²³³ وفي الحديث: "لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي". رواه البخاري في صحيحه باب كتاب بدء الوحي رقم الحديث 4896. ومسلم في صحيحه باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم رقم الحديث 6251. وعليه، فإن الأسماء الأخرى المتداولة على ألسنة الناس مثل (طه، يس) فهي من حروف الهجاء، وليست أسماء له، ولو كان ذلك كذلك، لصح أن يسمى بالحروف الأخرى الواردة في بدايات سور القرآن الكريم، والله أعلم.

نقطر ل ضيا بدت نيك جارة
دى كتن توز وغوبارة

المعنى:

إن مرزبة الملائكة كبيرة جدا، لو ضرب بها جبل ل صار ترابا وغبارا، بحيث لا يبقى منه شيء. وفي الحديث: "ثم يقبض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابا فيضربه ضربة حتى يصير ترابا ثم يعيده الله كما كان"²³⁴.

نقو دى مينيت ب وى عتيشى
قنت نامينيت ض خوشى
ذ فـيراشا نائيشى

المعنى:

سببى هذا الإنسان في هذه الحالة الرهيبة المهولة، لا تبقى له لذة ولا راحة ولا سعادة، بل سببى على فراش العذاب والنار إلى يوم القيامة.

ض نائيش وهتم طورى
مقلة وة ل قبرى خورى
هتتا تنيشت تيك ثرى

المعنى:

يا له من عذاب مؤلم ونار تتلظى للعاصين، فالملك يصرخ في وجهه، ويضيق قبره إلى درجة أن تختلف أضلاعه. وفي الحديث: "يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه"²³⁵.

نقو متيتى وة بى مةفقر
تاقنت ناكنت بيته دتر
دى ل نك مينيت كورة وكتر

المعنى:

هذا العبد الميت الذي لا مفر له للهروب والفرار، لا يستطيع الخروج من قبره وحفرته، بل سببى وحيدا مع ملك رهيب مخيف لا يرى ولا يسمع، أي أعمى وأصم²³⁶. وفي الحديث: "ثم يقبض له أعمى أصم أبكم"²³⁷.

²³⁴ رواه أبو داود في سننه من حديث البراء بن عازب، باب في مسألة القبر، رقم الحديث

4755، ورواه أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب رقم الحديث 18637.

²³⁵ رواه أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رقم الحديث 12293.

²³⁶ لم يذكر الشيخ صفة أخرى من صفات هذا الملك المخيف، وهم أنه لا يتكلم، فهو أبكم، وقد ورد ذلك في الحديث الذي ذكرناه في المتن.

²³⁷ رواه أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب رقم الحديث 18637.

ناظيت وان بينم ب تفسير
نك موناكرة نك نكير
يان موبشةرة هم بةشير

المعنى:

سأذكر أسمائهم وأفسرها، أحد هذين الملكين منكر، والآخر نكير، وهما سيقومان بسؤال الكفار والعصاة، بينما للعبد المؤمن والمطيع سيأتياه المبشر والبشير²³⁸، ويسألانه الأسئلة المعروفة، ومن ثم يبشرانه بالجنان والرضوان.

جوملتي وان ضار نسمن
مستماي وان دوو جسمن
تيكدا نيموات دوو قسمن

المعنى:

فمجموع الملائكة أربعة أسماء، وهي كما مر (منكر ونكير للعصاة، ومبشر وبشير للمؤمنين)، وهم في الحقيقة صنفان، صنف للكفار، وهما منكر ونكير، وصنف للمؤمنين وهما مبشر وبشير، وأما الأموات فهما أيضا صنفان: صنف المؤمنين، وصنف الكافرين.

نقو ملةكيت صاحب كقرب
طاظال مقيتي دكتن ضه رب
هقوار دي ضنة مشرق ومغرب

المعنى:

إن ملائكة العذاب عندما يقومون بضرب العاصي في قبره، فإن العاصي سيصرخ ويصيح صيحة تبلغ المشرق والمغرب.

دي طولى بيت دةنطا وان
خةلقى عقرد وعاسمانان
غقيرى جين و ئينسانان

المعنى:

²³⁸ لا إخال أن ثمة حديثا ثابتا يثبت أن اسم الملكين الآخرين الذين يسألان العبد المطيع (مبشر وبشير)، ومثل هذه المسائل عقديّة، لا بد من نص يثبت ذلك، ولا يجوز التعويل على مجرد الرأي، فالغيبات علمها عند الله، لا يعلم ذلك إلا هو، ومثل هذه الأمور تعرف بالوحي عند نزوله لرسوله، ولقد ذكر ابن حجر العسقلاني وغيره، أن بعض الفقهاء قال: إن اسم اللذين يسألان المذنب منكر ونكير، واسم اللذين يسألان المطيع مبشر وبشير. انظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت، دار المعرفة، 1379) 237/3.

وعندما يعذب ملك العذاب الكافر في قبره فإنه سيصرخ ويصيح من هول العذاب والضرب بيد الملائكة، فيسمع صراخ تعذيبه وصياحه كل شيء إلا الجن والإنس. وفي الحديث: " فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين"²³⁹.

طَقْرَل طَوْهَى وَابْدَتْ
دَى بَيْتَةَ تَرْس وَهَقِيْبَت
نُيْمَان دَى بَيْت بَى مِنْت

المعنى:

ولو سمع الجن والإنس صراخ المعذبين في القبور، لأصابهم الفزع والخوف والوجل، ووقتئذ سيدخل في دين الله كل عنيد كافر، ولن يبقى على وجه الفسيحة كافر ولا عاص ولا عنيد مريد. وعليه، فإن ما عدا الجن والإنس يسمع عذاب القبر، كالحوانات والدواب، وفي الحديث، عن زيد بن ثابت قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال من يعرف أصحاب هذه الأقبير؟ فقال رجل أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر²⁴⁰.

يبدو أن الشيخ اطلع على الخلاف الوارد في شرح الحديث ومعناه، فقد اختلف شراح الحديث حول المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن لا تدافنوا". وقد فصل الإمام المناوي²⁴¹ في ذكر الآراء حول معنى الحديث، ويبدو أن الشيخ اختار ما بدا له راجحاً، وهو أنه لولا أن لا يدفن أحد ميتة، لدعوت الله أن يسمع عباده عذاب الميت، أي أنه لا يدفنه لهول العذاب، فينشغل العبد بالطاعة والعبادة والتقرب والتزلف إلى الله، ولا يشغل نفسه بغير ذلك، ولو سمع الجن والإنس ذلك لآمن جميعهم، ولما بقي على ظهر الفسيحة كافر، ولما صارت الدنيا دار امتحان واختبار، ولما كانت هذه الحكمة منفية في البهائم أسمعها عذاب القبر كما قال ابن القيم²⁴².

طَاطَا مَقْلَةً لَى دَخُورَى
كَافِر دَى ل جَتَوَابَى حَقِيرَى

²³⁹ رواه أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب، رقم الحديث 18637. وأبو داود في سننه من حديث البراء بن عازب، باب في المسألة في القبر، رقم الحديث 4755.

²⁴⁰ رواه مسلم في صحيحه باب عرض مقعد الميت، رقم الحديث 7392.

²⁴¹ زين الدين محمد بن علي المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م) 435/5.

²⁴² محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية: الروح (بيروت، دار الكتب العلمية، 1395هـ - 1975م) ص66.

دى بيت ها ها لا ئقدرى

المعنى:

عندما يصرخ الملك بوجه الكافر، ويسأله بعنف وشدة عن ربه ودينه ونبيه يحتار الكافر، ولا يعرف ماذا يقول في جوابه، ويكون جوابه: هاه ها لا أدري. وفي الحديث: "ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه ها لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه ها لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه ها لا أدري"²⁴³.

تتطهر جتواب سةديد بيت
تتزمان دى لى فتصيح بيت
حالى وى دى متليح بيت

المعنى:

وعندما يكون جواب العبد للملكين (بشير ومبشر) سديدا وواضحا وفصيحا، بحيث يعرف أجوبته عن ربه ودينه ونبيه، فإن قبره سيتحول إلى روضة من رياض الجنة، وسيعيش في سعادة ورضوان وطمانينة وراحة بال إلى يوم القيامة.

جتوابا درست دى ئتوبى
بيذيت الله رةبى
ومحمد ننتيبى

المعنى:

إن الجواب الصحيح هو أن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي.

وإن الإسلام ديني

والقرآن إمامي

والكعبة قبلتي²⁴⁴.

والمؤمنون إخواني

والمؤمنات أخواتي

وإبراهيم الخليل أبي²⁴⁵

طاظا تمام بوو جتواب

ذ غتیبى دى هیت خطاب

²⁴³ رواه أبو داود في سننه، وأحمد في سمنده، وهو تنمة حديث البراء بن عازب الطويل.

²⁴⁴ كتب الشيخ هذه الأبيات وما بعدها باللغة العربية، وذلك ربما لوضوحها وجلانها، ولا يعني أنه يجب على العبد أن يجيب على أسئلة الملائكة بلغة عربية فصيحة، فهذا غير وارد أصلا، فكل يجيب بلغته التي كان يتكلم بها في الدنيا، فإله هو واهب اللغات وخالقها، وقد فصلت القول في هذه المسألة في كتابي (تاريخ التعريب الديني) مطبعة جامعة صلاح الدين 2006.

²⁴⁵ المعروف أن آدم عليه السلام هو أبو البشرية الأول، ثم نوح عليه السلام يعد أبا البشرية الثاني، أما بخصوص النبي إبراهيم عليه السلام فهو أبو الأنبياء والمرسلين، وليس جميع البشر.

عَبْدِيَ مِنْ طُوتٍ يَا صَقُوبَ

المعنى:

عندما يجيب العبد الصالح على أسئلة الملكين جوابا سديدا صائبا، فإن الله سيخاطب عبده قائلا: صدقت يا عبدي. وفي الحديث: " فينادى مناد في السماء أن صدق عبدي" ²⁴⁶.

عَبْدِيَ مِنْ طُوتٍ يَا حَقِي
بَوِّ رَأَيْخَنَ فِرَاشِي نَيْسَنَتَبْرَاقِي
دَطَلَتِ سَنَدَسُ وَبِ نَمْرَةَاقِي

المعنى:

يقول الله تعالى مخاطبا ملائكته، لقد صدق عبدي، أكرموه بفراش من استبرق، وسندس ونمارق، ويشير إلى قوله تعالى {مُتَّكِبِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} ²⁴⁷. وقوله تعالى {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ} ²⁴⁸.

ذِي مَنَا طَالَعٍ وَفِ مَقَلَّةِ كَا
خَطَابِ دِي هَيْتِ بَوِّ مَقَلَّةِ كَا
بَوِّ عَبْدِيَ مِنْ طَلَّةِ كَتْنِ كَوْلَةِ كَا

المعنى:

من سعادة العبد الصالح، وحسن طالع، أن الله سيخاطب ملائكته قائلا، افسحوا لعبدي، وافتحوا له النوافذ في قبره ليرى مكانه في الجنة.

كَوْلَةُ كَا طَلَّةِ كَتْنِ دِ جَنَّةِنَتِي
خَوْشِ بَيْتِ بَيْنَا رَحْمَتِي
دَانَتَيْنِ زِحْمَتِي

المعنى:

ثم يأمر الله ملائكته بفتح أبواب الجنة لكي يشم رائحتها، ولكي يرى مكانه المهيا له في الجنة، ولكي يتعافى من سفر الدنيا ومشقتها، ويتعافى من هول القبر وشدته.

ثَاشِ كَوِّ بَرِيَا نَعْوِ مَقَالِ
لِ بَوِّ عَبْدِيَ خَوْشِ بَوِّ حَالِ
نَعْوِ دِي كَتْنِ قَصْدَا مَالِ

المعنى:

²⁴⁶ رواه أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه من حديث البراء بن عازب الطويل.

²⁴⁷ سورة الرحمن الآية 54.

²⁴⁸ سورة الغاشية الآية 15.

وبعد أن انتهى العبد من الإجابة على أسئلة الملائكة، وفسح له في قبره، وتحول هول القبر إلى روضة من رياض الجنة، يبغى العبد أن يعود إلى أهله الذي فارقهم بعد موته.

دى بيّنة وى مة لا يكة
عقبدوّ توّ وة نة كة
قةصدا مالا خو نة كة

المعنى:

عندما يحاول العبد الأوبة إلى أهله، تقول له الملائكة: لا تحاول ذلك يا عبد الله، فقد فارقت الحياة، وانتقلت إلى عالم آخر، وهو عالم البرزخ.

قتهبرى تة دى بيت ناظا
ميقداري ديتنا ضاظا
بنظة وةك بووك وزاظا

المعنى:

سيصبح قبرك ومنزلك عامرا، ويفسح إلى درجة مد البصر، فتم نومة عروس لا يوقظه إلا أحب الناس إليه. وفي الحديث: "فيتسع له مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة"²⁴⁹. وفي حديث آخر: "فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك"²⁵⁰.

نظ نه ظمه نه نه ظما جة جديدة
شـوبهتتى وة عد وة عيدة
نيقتدا بكة لامى مة جيدة

المعنى:

هذه القصيدة، وهذه الأبيات، وهذا النظم الشعري ليس شيئا جديدا، بل هو وعد ووعد، ترغيب وترهيب مستمد من كتاب الله المجيد.

نظطر عتبيةك تيدا بى
كسى يارو برابى
ذكر نة كة ب خرابى

المعنى:

هذه هي قصيدتي، فإن كان فيها خلل أو نقص أو عيب، فرجائي من الأحباب والخلان والإخوان، عدم التركيز على الخلل، وعدم ذم القصيدة لمجرد خلل أو عيب.

²⁴⁹ رواه الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رقم الحديث 2460. وأحمد في مسنده وأبو داود في سننه، كلاهما من حديث البراء بن عازب الطويل.

²⁵⁰ رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة، باب عذاب القبر، رقم الحديث 1071.

ولا ريب أن هذا من شيم العلماء، فقد كان رحمه الله متواضعا وبسيطا للغاية،
كالسلف الصالح من العلماء الصادقين المخلصين.

نُطْقَرُ ضَعْدِيشَ خَرَابِ بِي
حَقَقَى وَيَ عَيْتَابِ بِي
تَوَ بِيْذَةَ صَوَابِ بِي

المعنى:

وإذا كانت القصيدة سيئة النظم، وتستحق النقد والعتاب، فاستحسنها أنت، وقل
الصواب.

نه ظم ضعدا سةقيم بي
ناظر نُطْقَرُ حَلِيمِ بِي
دَى ذ طه عنى سةليم بي

المعنى:

عندما يكون نظم القصيدة سيئا للغاية، فإن الهدف مضمون القصيدة لا كلماتها
من حيث الوزن والقافية، وعندما يدرك الناظر الناقد أن الهدف من هذه القصيدة
إرشاد الناس إلى الطريق المستقيم، فإن نظرة الناظر الناقد ستكون هادئة وحليمة،
سيتغاضى عن الخلل والنقص، وسيغض الطرف عن العيب والزلل.

نه ظم نُطْقَرُ ب رةواج بي
ناظر نُطْقَرُ ب لجاج بي
بى شك نُتَو دى حقراج بي

المعنى:

أما إذا كانت القصيدة أو نظمها سليما حسنا قويا، والناظر ناقدًا يريد النقد فقط،
ولا ينظر إلى مضامين النظم، فإن القصيدة ستفقد قيمتها، وتغدو بلا فوائد.

ذ هيجرة تى دةم خةبتر
سالا جارى بوقه دةر
رابرى بوو لةفظا عةمفتر²⁵¹

المعنى:

وأما ما أقوله حول العام الهجري، فإنه هو العام الجاري، وهو عام ضمن لفظة
(عمفر). أي من هذه الحروف (العين، الميم، الفاء، والراء).

²⁵¹ في نسخة ملا أيوب يقول: - بعد أن ذكر هذه اللفظة ذات الأربعة حروف (عمفر) - وفي
الأصل (غن حر) وعند ثي رةش نجد اللفظة نفسها، أي (عمفر)، وهي كلمة لا معنى لها، فهي
وضعت لتسهيل الحفظ، وهي تتكون من أربعة حروف، ويبدو لي أن كلمة (عمفر) غير صحيحة،
بل الأصح (غن حر)، وهي كأختها لا معنى لها، بل هي تتكون من أربعة حروف، وهي تلك
الحروف التي ذكرها الشيخ بعد ذلك قائلا: الحاء، والراء، والغين، والنون، والله أعلم.

جارى بيون ضئند سنون
ذ هيجرة تي رابى بون
حائو رائو غةينو نون

المعنى:

قد سبقت سنون وأعوام من هجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ثم كرر
الأحرف السالفة، وهي (الحاء، والراء والغين والنون)²⁵².

رقي تويى غافري
ئازا بكة شاعرى
ذ عتزابا ئاطرى

المعنى:

يا رب أنت الغافر للذنوب، قال تعالى {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ
ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ}²⁵³. اعتق رقبة هذا الشاعر من عذاب النار.

رقي تويى راحمي
خة لاص بكةى ناظمى
رودا ئه خدا ظالمى

المعنى:

يا رب أنت الراحم، الذي يرحم عباده، ارحم ناظم هذه القصيدة، ونجه من
العذاب يوم يؤخذ الظالم إلى سواء الجحيم، قال تعالى {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ
فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ، وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيهِ، يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ، مَا أَغْنَى
عَنِّي مَالِيهِ، هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ، خُدُوهُ فَعُلُوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ
الْمُسْكِينِ}²⁵⁴.

ب حةقى سورة تا قافى
هاتم سةبى ظى ئيضافى
مة خلاص بكةى ل ختوفى

المعنى:

²⁵² لقد حاول الباحث أن يفهم قصد الشيخ من هذه الحروف، فلم يصل إلى شيء، وقد استفسرت
أحفاد الشيخ من المثقفين فلم أجد جوابا، وحتى الكاتب الذي ترجم القصيدة لم يعط جوابا صريحا
واضحا، حيث قال: "وبحساب السنين في السطر الثالث من البيت (ح.ر.غ.ن) بحسب أرقام
الأبجدية، يخرج لنا (1258هـ) وهي السنة التي نظم فيها القصيدة. ص33. وهذا الكلام غير
مفهوم، ثم سألت ملا أيوب الذي نشر القصيدة عن هذه الحروف، فقال: نقلتها ونشرتها من غير
أن أعرف عنها شيئا.

²⁵³ سورة المؤمن أو تسمى أيضا بسورة (غافر) الآية 3.

²⁵⁴ سورة الحاقة الآية 25-34.

يا رب نتوسل إليك بسورة ق، وبسبب هذه الإضافة والضميمة، نجنا من الخوف والوجل والهلع يوم القيامة.

رَبِّى تَوَ شَاهَى مَقْتِينَى
مَ خَلَاص بَكَى ذَلَعِينَى
وَقَتَى كَوَ نَاطَى تِينَى

المعنى:

يا رب أنت الملك القوي المتين، نجنا من الإبلis اللعين أن يضلنا ويغويننا، وخاصة عند غمرات الموت وسكراته، أو عندما نشرب ماء الموت، فقد شبه نزع الروح بشربة ماء.

وَقَتَى نَقَز عَا سَتَكَرَاتَى
رَبِّى تَوَ بَدَ رَا حَتَى
مَ خَلَاص بَكَى ذَرَحَمَتَى

المعنى:

يا رب اجعل نزع الروح سهلا هنيئا مريحا، وخاصة عند سكرات الموت وغمراته، ونجنا من عذاب النزع وقبض الروح، قال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} ²⁵⁵. وقال تعالى {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا} ²⁵⁶.

نُومِدَ هَقْرَ هَقِيَةَ عَقِيدَا
ذَلُوطَفَ وَنُيْكَرَامَا سَقِيدَا
نَازَا بَكَى ذَقَقِيدَا

المعنى:

لا يقنط العبد ولا ييأس من رحمته ولطفه وكرمه، فيا رب اعتقنا من نار جهنم. قال تعالى {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ²⁵⁷. وقال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام {وَلَا تَيَاسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} ²⁵⁸.

نُومِدَ هَقِيَةَ عَقِيدَى غَقْرِب

²⁵⁵ سورة الأنعام الآية 93.

²⁵⁶ سورة النازعات الآية 1- 2.

²⁵⁷ سورة الزمر الآية 53.

²⁵⁸ سورة يوسف الآية 87.

هيظى كارة بتندى غقريب
بورة حممة تارة بى قريب

المعنى:

إن العبد المسكين لا يقنط من رحمة ربه، فهو متفائل برحمته ولطفه ومغفرته وعفوه، لأن الله قريب منه، يسمعه ويراه. قال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} ²⁵⁹.

ناظ دى كتم ب ئيعلام
ب بتيان و هتم كةلام
عقبدى مضاف ب سةلام.

المعنى:

سأذكر اسم الناظم لهذه القصيدة، بوضوح وجلاء، إنه عبد السلام، حيث أضاف العبد لاسم الله تعالى (السلام).

نططر بيذيت سائل
نفظ نسمة نابيت كامل
ققيدا وى نابيت داخل

المعنى:

وإن سأل سائل أن هذا الاسم غير كامل، فهو مطلق، ولا يمكن تمييزه عن بقية من تسمى بهذا الاسم، أي إنه اسم لا قيد له ولا حد.

مقدفوعتتن نغو مقسئل
ققيدا وى دى بيت داخل
ب حوكمى مقجازى مورسئل

المعنى:

هذا المشكل حول الاسم سيحل، وسيفك قيده، فيما إذا علم أن ذلك من باب المجاز المرسل.

نغو خالدى زيبارى
هيظى دكةت ذ بارى
نأزا بكعى ذ نارى

المعنى:

إن الناظم لهذه القصيدة خالدى الطريقة نسبة إلى مولانا خالد النقشبندى، والزيبارى نسبة إلى عشيرته، لأن الشيخ من عشيرة الزيبارى، فقرية بارزان تابعة لها. وهو يرجو الله تعالى البارى أن ينجيه من النار.

خـــــــــــــــــاليدمة ب طه ريققت

²⁵⁹ سورة البقرة الآية 186.

زيــــــــاريمــــــــة ب عشيرــــــــة
بارزانيمــــــــة ب مــــــــسكــــــــةن و قــــــــريــــــــة

المعنى:

ثم يذكر الشيخ أنه خالدي الطريقة، نسبة إلى مولانا خالد النقشبيندي،
وزيباري العشيرة، ويعيش في قرية بارزان، لكونها مسقط رأسه.

رــــــــبي نــــــــازا بــــــــكــــــــةي عــــــــقــــــــبــــــــدي طــــــــالــــــــح
عــــــــقــــــــو بــــــــكــــــــةي مــــــــريــــــــدي صــــــــالــــــــح
ب حــــــــورمــــــــةتــــــــا نــــــــهــــــــيــــــــي فــــــــاتــــــــح.

المعنى:

يا رب عفوك لعبدك الطالح المذنب العاصي، وللمريد الصالح المطيع، بحرمة
النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)²⁶⁰ فهو الفاتح لقلوب عبادك، والفاتح لعقولهم إلى
نور الإيمان.

المصادر والمراجع

أولاً اللغة العربية

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن (د.م. دار هجر، ط1، د.ت).
- أبو عبد الله محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سمير البخاري (الرياض، دار عالم الكتب، 1423 هـ، 2003 م).
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي: العلو للعلي الغفار، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود (الرياض، مكتبة أضواء السلف، ط1، 1995).

²⁶⁰ اختلف علماء الإسلام حول مسألة التوسل بجاه النبي وحرمة، فمن مجيز، ومن محرم، وهي مسألة غير أصولية لا تفتضي تكفيراً ولا تشريفاً، والأولى في تقدير الباحث تجنب هذا النوع من الدعاء، لأن الأصل في العبادات المنع، ولم يثبت ذلك في السنة، وما توسل بجاهه صحابي، والله أعلم.

- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت، دار المعرفة، 1379هـ).
- أحمد محمد أحمد: أكراد الدولة العثمانية تاريخهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي 1880-1923 (أربيل، مطبعة حجي هاشم، ط1، 2009م).
- إريك بروار ورفائيل باتاي: يهود كردستان، ترجمة: شاخوان كركوكي وعبد الرزاق بوتاني (أربيل، مطبعة وزارة التربية، ط1، 2002م).
- الألوسي: غرائب الاغتراب (د.م.ت.ب).
- أليكس جورافسكي: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ترجمة خلف محمد الجراد (دمشق، دار الفكر، ط2، 1425هـ، 2005م).
- البارزاني وشهادة التاريخ، ترجمه عن الروسية: بافي نازي وعبدي حاجي (بيروت، دار العربية، ط1، 1427هـ، 2006م).
- باسيل نيكيتين: الكرد دراسة سوسولوجية وتاريخية، ترجمة: نوري طاباني (السليمانية، مؤسسة حمدي، ط3، 2007م).
- ثي رةش: بارزان وحركة الوعي القومي الكردي (1826-1914) (د.م. 1980م).
- جرجيس فتح الله: يقظة الكرد (أربيل، ط1، مطبعة وزارة التربية، 2002م).
- جماعة من مؤرخة اليهود: اليهود في البلدان الإسلامية، ترجمة: جمال الرفاعي (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1415هـ، 1995م).
- حاجي رمضان بيسكي: بحث عن عائلة شمدينان ودورها في الحركة التحررية الكردية (السليمانية، مطبعة رومان، ط1، 2007م).
- خير الدين بن محمود الزركلي: الأعلام (بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م).
- دائرة المعارف الإسلامية: ترجمة لفيف من العلماء (بيروت، دار المعرفة، د.ب.ت).
- دبليو. أي. ويطرام وادطار. تي. أي. ويطرام: مهد البشرية، الحياة في شرق كردستان، ترجمة جرجيس فتح الله (أربيل، دار آراس، ط3، 2000م).
- ديفيد مكحول: تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج آل محمد (بيروت، دار الفارابي، ط1، 2004م).

- زبيدة محمد عطا: اليهود في العالم العربي (د.م. مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2003م).
- زبير بلال إسماعيل: ثورات بارزان 1907م-1935م (كوردستان، مطبعة وزارة الثقافة، ط1، 1988م).
- زنار سلوبي: في سبيل كردستان (مذكرات) ترجمة: ر.علي (بيروت، دار الكتاب، ط1، 1987م)
- زين الدين محمد بن علي المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م).
- السجزي، أبو نصر عبيد الله: رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكروا الحرف والصوت تحقيق محمد باكريم عبد الله (السعودية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط1، 1413هـ).
- سعيد الحاج صديق الزاخوي: زاخو الماضي والحاضر (دهوك، مطبعة الخاني، ط1، 2008م).
- السندي، بدرخان: المجتمع الكردي في المنظور الاستشراقي (أربيل، مطبعة وزارة الثقافة، ط1، 2002)
- شرفخان البدليسي: شرفخانه في تاريخ الدول والإمارات الكردية ترجمه إلى العربية: محمد علي عوني (دمشق، دار الزمان، ط2، 2006م).
- عباس علي سليمان باباني: إسهام علماء الدين الكردي في كردستان العراق في توجيه الحركة الوطنية الكردية بين عامين 1961-1975م (أربيل، آراس، ط1، 2009م).
- عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (د.م. طبت).
- عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية (د.م. دار الرشيد، ط1، 1412هـ، 1992م).
- العزاوي: قبائل العراق (بغداد، مطبعة المعارف، د.ط. 1995م).
- ف.ف. مينورسكي: الأكراد ملاحظات وانطباعات ترجمة معروف خزندار (بغداد، مطبعة النجوم، 1967م).
- فرست مرعي: دراسات في تاريخ اليهودية والمسيحية في كردستان (أربيل، دار آراس، ط1، 2008م).
- كارين أرمسترونغ: النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام ترجمة: محمد الجورا (دمشق، دار الكلمة، ط1، 2005م).

- ماجد محمد زاخوي: الفرسان الحميدية 1891-1923 (دهوك، مطبعة خاني، ط1، 2008)
- مارتن فان برونسون: الأغا والشيخ والدولة، البنى الاجتماعية والسياسية لكرديستان، ترجمة: أمجد حسين (بيروت، دراسات عراقية، ط1، 2008).
- محمد أحمد درنيقة: الطريقة النقشبندية وأعلامها (دمت.ط.جروس بريس).
- محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية: الروح (بيروت، دار الكتب العلمية، 1395هـ - 1975م).
- ———: إغاثة اللفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي (بيروت، دار المعرفة، ط1، 1395هـ - 1975م).
- محمد بن خليل بن إبراهيم المشيشي الطرابلسي: اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع، تحقيق: فواز أحمد زمرلي (بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1415هـ).
- مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية (بيروت، رابطة كاوه، ط2، 1997م).
- هنري فيلد: جنوب كردستان دراسة انثروبولوجية، ترجمة جرجيس فتح الله (أربيل، مطبعة التربية، ط1، 2001م).
- وزيرى آشو: دوسية البارزاني في محافظة ستالين الفولاذية ترجمة: اسماعيل حصاف (أربيل، مطبعة خاني، ط1، 2008م).
- ويليام ايغلتون: القبائل الكردية، ترجمة: أحمد محمود خليل (أربيل، مطبعة التربية، ط1، 2006م).
- يعقوب يوسف كوريه: يهود العراق، تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم (الأردن، الأهلية، ط1، 1998م).

ثانيا) اللغة الكردية

- بارزانی لة مةهابادةوة بوئاراس، وقرطيران: شتوكتت شيخ يزددين (هتولير، ضااخانةى ووزارةتى ثترووةردة، ض2، 2001).
- حةسنةى دانيشفتت: بارزاني لة وبيذاني روذهةلاتي كوردستاندا(هتولير، ض1، ضااخانةى ووزارةتى ثترووةردة، 2003).
- دانا ئادةمز شميدت: سةفتريك بوناو ثياوة ئازاكانى كوردستان: وقرطيران: ئتبو بةكر سالح ئيسماعيل(دهوك، ضااخانةى خانى، ض1، 2008).
- رينية موريس: كوردستان يان نةمان، وقرطيران: ئتبو بةكر سالح ئيسماعيل (دهوك، ضااخانى خانى، ض1، 2008).
- شترةفنامتيا شترةفخانى بدليسي: تةرجهمة مةلامةحموود بازيدي(دهوك، ضااخانا خانى، ض1، 2007).
- شتوكتت مةلامة ئيسماعيل حةسنةى: روذانى لة ميذووى شورشى ئتليلول 1961-1975 (هتولير، ضااخانةى ووزارةتى ثترووةردة، ض1، 1428، 2007).
- طوظارا (ظتدين)(دهوك، ضااخانا هاوار، هذمار 10، 1418-1998).
- فةرةيدون نوورى: بزاظى بارزاني (هتولير، ئاراس، ض1، 2007).
- مةسعود بارزاني: بارزاني وبزووتتتوةوى رزطاربخوازى كورد (هتولير، ووزارةتى ثترووةردة، 2004).
- مةعروف ضياووك : كارەساتى (بارزان) ي زولمليكراو، وقرطيران: ئتبو بةكر سالح ئيسماعيل (دهوك، ضااخانةى خانى، ض1، 2008).
- محمة ئتمين زةكي بةط: خولاصتيةكى تاريخى كورد وكوردستان (هتولير، ضااخانةى ووزارةتى ثترووةردة ، 2006).
- ملا ئتيوب: ئيدا ضوننةظتلك ل ميذوويا بارزان (1820-1914) (هتولير، ضااخانا حاجى هاشم، ض1، 2007).
- ميهرداد ئيزةدى: ئايين وتايفة ئايينى يةكان لة كوردستاندا، وقرطيران لة ئنطليزيةوة: كامتيران فةهمي(سليمانى، ض1، 2002)
- وريا جاف: هتنديك ضااوئيكتوتن و وتارةكانى بارزاني نةمر (هتولير، ضااخانةى ووزارةتى ثترووةردة، 1999).

ثالثاً) اللغة الإنجليزية

- Michael M.Gunter; *Historical Dictionary of Kurds* (The Scarecrow Press, Inc.Lanham, Maryland, and Oxford.
- Martin Van Bruinssen: *The Sadate Nehri or Gilanizade of Central Kurdistan*.
- Mehmet Firat Kilic; *Sheikh Ubeydullah's Movement*.(Master Thesis) Ankara.
- . Bosworth C. E, van Donzel, Lewis, B, & Pellat, CH, (Eds). *The Encyclopaedia of Islam*, (Leiden, E. J. Brill.)

